تنبيه تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، فالمرجو صيانتها عن أي امتهان

الإخلاص تنقية للقلب وتصفية للوجدان

ص 6

حتى لا يغيب عنا المعنى التعبدي للأضحية

ص 4

المحجة

بسم الله الرحمن الرحيم

المدير المؤسس
المفضل فلواتي رحمه الله تعالى

نصف شهرية جامعة

almahajjafes@gmail.com

www.almahajjafes.net

المديرالمسؤول : د. عبد العلي حجيج ● 7 ذي الحجة 1435هـ – 2 أكتوبر 2014م ● العدد 426 ● الثمن 3 دراهم

افتتاحية

نحن أُمَّة اقْرأ، وبها نَفْخَر..

من بين ما كرَّم الله تعالى به أمة الإسلام، أن جعلها أمة اقرأ، فكان أول ما نزل من الوحي كما هو معلوم، قوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك﴾. وبفضل هذا الفعل "الآمر" الدَّال بحكم حذف مفعوله، على أن فعل القراءة مطلق زمانا ومكانا ومادة، بدءا بقراءة الوحي وانتهاءً بقراءة كل علم مفيد، فقط بشرط واحد هو أن تكون هذه القراءةُ باسم الله الخالق الذي خلق كل شيء، أقول بفضل هذا الفعل "الآمر"، سادت أمة الإسلام سيادةً علمية قبل أن تسود في الأنواع الأخرى من السيادات السياسية والمالية والاجتماعية. وحتى حينما بدأت هذه السيادات السياسية والمادية تخبو، بقي نور السيادة العلمية ساطعا مضيئا لا تنطفئ له جذوة، فأضاء بذلك جميع العالمين على مدار التاريخ، كل ذلك بفضل "اقرأ".

بفضل "اقرأ" مَلَك دين الإسلام القلوبَ، قبل أن يملك أيَّ شيء آخر من الأمور المادية، فتآلفت قلوب المسلمين وتوحدت على الإيمان: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ، إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال 64).

بفضل "اقرأ" بُنيت حضارة الإسلام بناءً علميا، بعيدا عن كل ما يتعلق بالخرافة أو الشعوذة، فكان العلماءُ في مقدمة من يخشى الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر 28)، ومن ثَمّ كانوا الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر لا يخافون في الله لومة لائم.

بفضل "اقرأ" بُنيت حضارة الإسلام بناء قائما على العدل والمساواة، لا فرق فيها لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى.

بفضل "اقرأ" ساد المسلمون العالم سيادة حُب وإخاء وعدل ومساواة: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (الحجرات 13) ، لا سياسة قهر وظلم وعدوان واستعباد، "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟".

بفضل "اقرأ" كان كل شيء بناه الإسلام لصالح الإنسان... وكلُّ ذلك وغيرُه من الفضائل الحضارية تحقق حينما كان المسلمون على وعي حقيقي وإدراك تامّ لدلالة "اقرأ" .

لكن حين خبا نور "اقرأ" واضمحل في قلوب المسلمين، ساد الجهل والتقليد والتكرار والتخلف في كل شيء، حتى في الجانب التعبدي الخالص، وأصبح المسلمون غثاءً كغثاء السيل تتداعى عليهم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعة الطعام.

وإن من دلالات "اقرأ"، أنها لا تعني ما يُصطلح عليه اليوم بمحو الأمية – وإن كان ذلك مما يطلب من المسلمين، فقد جعل الرسول ﷺ، ثمن إطلاق أسرى بدر أن يعلم الواحد منهم عشرة من أبناء المسلمين – ولكن دلالة اقرأ فوق ذلك بكثير، وخاصة حينما تُربط بما بعدها، كما يتطلب ذلك السياق القرآني وسياق النزول.

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق 1 – 5).

إنها القراءة العالمة المتدبِّرة المتأملة العاقلة المتفحِّصة الباحثة المدقِّقة المستحضرة لرقابة الله تعالى وعظمته، المستسلمة المنقادة له في كل شيء... إنها القراءة باسم الله وكفى.

ذلك أنها إذا لم تكن باسم الله ذهبت كل منافع القراءة وأصبحت وَبالاً على الإنسان ودماراً له، كما هو واقع القراءة في كثير من الأعصر الخالية، ثم في العصر الحالي خاصة:

فكم من "قارئ"، آمر بالمنكر ناه عن المعروف، باسم "القراءة".

وكم من "قارئ" مستَعبِد للعباد ومدمِّر للبلاد... باسم "القراءة" أيضا.

وكم من "قارئ" يسعى في خراب بلاده واستعداء العدو عليها وموالاته له على حسابها...

وكم من "قارئ" يحارب الله ورسوله جهاراً نهاراً ويمْكر بالمسلمين، ويفسد عليهم دينهم ودنياهم.

وكم من "قارئ" يفسد في الأرض ويحسب أنه من المصلحين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ، أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة 11 – 12).

كل ذلك يحدث نتيجة لقراءة لا تكون باسم الله، وإنما تكون باسم الهوى أو الشيطان، فتنتج ما تنتج مما نَراهُ الآن، مما لا يعود على الإنسان إلا بالدمار والخراب والخُسران.

فمتى تستيقظ أمة "اقرأ" لتصبح فعلاً أمَّة قارئةً يَفْخر بقراءتها كل العالمين؟

حوار النبي إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه من خلال القرآن الكريم

ص 2

الاستجابة لله ولرسوله حياة

ص 5

منهجيات أخرى للكتابة والتأليف

ص 13

حوار النبي إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه من خلال القرآن الكريم (2)

نظرات في دعوته لعامة الناس

د. عبد القادر محجوبي *

في المقال السابق تناول الكاتب دعوة النبي إبراهيم عليه السلام من جهة طبيعتها وأسسها الكبرى، ومن جهة ما اتجهت إليه من أصناف المدعوين وخاصة أقاربه، وفي هذه الحلقة يواصل الكلام عن صنف المدعوين من عامة الناس من قومه.

يعني الخروج بالدعوة من حيز العشيرة والأقارب، أفراد الأسرة الصغيرة إلى الجمهور من الناس لدعوتهم إلى الهدى الذي هو الطريق المختار من الله تعالى للتمكين لدينه.

وقد سجل القرآن الكريم العديد من الحوارات – أو المناظرات – بين إبراهيم عليه السلام وقومه، هدفها إخراج هؤلاء القوم من الشرك وعبادة الأصنام إلى عبادة الله عز وجل.

يقول الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام لما رأى عظم الشمس: ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الأنعام : 78–82) لعدم اختلاط إيمانهم بشرك يعكر صفاءه؛ فالفريق الذي ينتمي إليه إبراهيم عليه السلام هو فريق المؤمنين الآمن بأمن الله، لأنه أخلص في العبادة لخالق السماوات والأرض الموجود في الكون كله وفي فطرة إبراهيم، وفريق قومه هو الخائف، بل هو في خوف مستمر من أن يُصاب بسوء من الآلهة التي يعبد من دون الله إن هو أراد التخلي عن عبادتها، ومن ثم فإن الأمن الموفر من الله لإبراهيم ولأتباعه هو الأمن الحقيقي، لأنه مقرون بالإيمان الصحيح والهداية إلى أقوم طريق؛ وذلك الذي عليه الفريق الآخر خوف دائم وإن ظن أهله أنه أمن، إذ الأمن قرين الإيمان وإلا فالخوف الدائم، لأنه لا أمن بدون إيمان ولا إيمان بدون إخلاص.

في الحوار السابق تبرأ إبراهيم عليه السلام مما يعبد قومه من الكواكب (ديانة الكلدانيين) وأعلن صراحة أنه لم يكن من المشركين وأنه توجه وجهة أخرى، غير التي عليها هؤلاء القوم، توجه إلى خالق الخلق بالعبادة لأنه أحق بها من غيره؛ وهذا التوجه المختار من إبراهيم فطري، لا رجعة عنه، لأنه من الله، فهو هداية منه سبحانه وتعالى، فلا جدوى من مناقشة الداعي إبراهيم فيه، ولا جدوى من محاولة ثنيه على الذهاب فيه، لأن اختيار الفطرة اختيار لا شرك فيه، اختيار حق وحقيقة بسلطان العقل لن يلحق صاحبه خوف من مخلوق عاجز مفتقر إلى غيره ليحقق كيانه.

وصفوة القول عن هذا الحوار : إن إبراهيم الداعي إلى الله مؤيد من خالق الخلق سبحانه وتعالى بهدايته إلى الإيمان الذي فيه سعادته وسعادة أتباعه بتحقيق الحصانة والأمن لهم من بطش باقي المخلوقات.

ويقول الله عز وجل : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللاعِبِينَ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنْطِقُونَ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (الأنبياء : 51–69).

الحوار في الآيات السابقة بين إبراهيم من جهة وأبيه وقومه من جهة ثانية، عبدة الأصنام المدعوين إلى عبادة رب العالمين، حوار تحدّ وقَرْع للحجة بأخرى أقوى منها، حوار يعكس مدى وثوق إبراهيم عليه السلام المؤمن بما هو عليه من الحق والجرأة في الإفصاح عن المعبود الحقيقي، رب العالمين، خالق السماوات والأرض، في وجه من يعبدون التماثيل التي لا تنفع ولا تضر، تُعبد بحكم أنها مما ورثه الأبناء عن الآباء لا لأحقيتها بالعبادة، إنما لأسبقية جرت العادة على الامتثال لها وعبادتها من قِبل الآخرين.

وقد كان لجرأة وثوقه في تنفيذ قسمه بالكيد الذي يلحق المعبودات بتكسيرها وتقطيع أوصالها، أن جعل قومه بين متسائل ومشكك فيما وقع للآلهة التي لا تنفع ولا تضر، من الهدم وفقدان للهيبة أمام المتعبدين بها ظلما وجهلا بعدم أهليتها لأن تتخذ آلهة.

كما كان لجرأة إبراهيم عليه السلام في القضاء على الآلهة بتكسيرها أن تم الحكم عليه بالحرق بعد ما حكم هو عليها بالهدم. فنفذ حكمه بالقضاء عليها، إلا أن التأييد الإلهي جعل النار التي تحرق بردا وسلاما على إبراهيم.

وفي الحوار تبكيت وسخرية من إبراهيم عليه السلام بهؤلاء القوم وبمعبوداتهم التي أنزلوها منزلة العاقل وبمنزلة المستحق للعبادة التي هي خاصية لله تعالى وحده لا شريك له.

إن إبراهيم عليه السلام دعا قومه بطريقة لا يمكن لصاحب عقل أن ينفر منها، قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلا رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ وَاغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الشعراء : 69–90) العابدين لرب العالمين أعداء التماثيل والأصنام التي ظل قوم إبراهيم لها عابدين.

في هذه الآيات سأل إبراهيم عليه السلام أباه وقومه عن الأصنام التي يعبدون والمُنزلَة منزلة الإله؛ فنبههم إلى أن من خصائص المعبود أن يسمع وينفع ويمس بضر من يعبدونه، كما أن من خصائصه أن يخلق ويهدي الخلق إلى عبادته ويطعمهم بالطعام المعهود ويسقيهم بالشراب المعروف لديهم، ويشفيهم إذا مرضوا ويغفر لهم ذنوبهم وخطاياهم، ويميتهم ثم يحييهم غدا يوم القيامة للحساب فالجزاء بالثواب أو العقاب.

والظاهر في هذه الآيات أن إبراهيم عليه السلام لم يمل ولم يكل من تكرار الإعادة والمحاولة لإقناع أبيه وقومه للعدول عن شركهم وكفرهم بالله تعالى الذي هو أحق بالعبادة، لأنه الخالق والرازق والغفار للذنوب والخطايا. ورغم أنه مؤيد من الله تعالى بإرشاد وتوجيه منه سبحانه، فإنه دعا الله تعالى المزيد من القوة في العلم والصلاح والصيت الحسن والذكر الجميل في الآخرين وإراثة الجنة دار المتقين، وطلب المغفرة لأبيه الذي ظل متمسكا بضلاله.

يقول الله عز وجل: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلا تَأْكُلُونَ مَا لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (الصافات : 83–99) إلى عبادته بفضله وجوده علي وعلى أتباعي؛ فالداعية إبراهيم تابع مسيرة نوح عليهما السلام في الدعوة إلى أصول الدين، إذ ما دعا إليه إبراهيم عليه السلام قومه مختلف من حيث فروعه عما كان زمان دعوة نوح. والأساس الذي جاءت من أجله جميع الدعوات وتناولته هو توحيد الإله المعبود بدلا من الآلهة/المعبودات والمنحوتات التي لا تنفع ولا تضر. فعبادة الآلهة إفك في حق الإله الواحد رب العالمين الذي هو أحق بالعبادة.

وللتعامل بحكمة مع الآلهة التي ينتظرها فعل غير متوقع ممن يعبدونها وهو الضرب والهدم، أخبر الداعية إبراهيم قومه أن به سقما للابتعاد عنه وعدم القرب منه حتى ينفذ فعله الذي هو المصير المحتوم للمعبودات المصنوعة والمنحوتة بأيدي العابدين لها. فكان استعمال هذا الأسلوب وهذه الطريقة من إبراهيم في التعامل مع الأصنام مما تقتضيه الظروف والمرحلة التي تعيشها الدعوة والداعية إبراهيم عليه السلام.

بعد أن دعا إبراهيم عليه السلام أباه الدعوة الخاصة، انتقل إلى الدعوة العامة بدعوة قومه، يسأل إبراهيم عليه السلام قومه منكرا عليهم متعجبا من حالهم في اتخاذهم أصناما لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر، يعكفون على عبادتها، لأنهم حسب زعمهم وجدوا الآباء والأجداد يفعلون ذلك، وهذا هو التقليد الأعمى. وإزاء هذا الوضع أعلن إبراهيم عليه السلام براءته من هذه الآلهة المزعومة وعداوته لها، بل ويعلن ضجره وتأففه من صنيع قومه ومن آلهتهم: ﴿أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنبياء : 66).

وهذا تدرج حكيم في الدعوة، فقد بدأ معهم متسائلا، موجها وناصحا. ثم بين لهم اتباع أهوائهم وتقليد آبائهم، فلم يكن هناك بد من تنبيههم إلى ضلالهم وضلال آبائهم من قبلهم: ﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ (الأنبياء : 54) ثم أخذ يوضح لهم حقائق التوحيد الخالص بالتعريف برب العالمين خالق الخلق ورازقهم، بحيث ذكر صفات تدل على أن الرب، الله جل جلاله هو المستحق للعبادة دون الآلهة التي لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر، ولا تميت ولا تحيي ولا تشفي، ولا تطعم ولا تسقي.

ومن ثم فإن منهج إبراهيم عليه السلام في الدعوة هو منهج باقي الأنبياء، وأتباع الأنبياء، فكل دعوة تحيد عن هذا المنهج لا يكتب لها النجاح.

ومما سجله القرآن الكريم في مجال مناظرة إبراهيم لبعض قومه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة : 257)، الذين يدَّعون إمكانية الاشتراك مع الله في بعض ما تفرد به من إحياء الخلق وإماتتهم، فنمرود بن كنعان بن سنجاريب بهذا الادعاء (وهو المحاور لإبراهيم عليه السلام في هذا النص) أراد أن يتقاسم الربوبية مع الله، خالق الخلق أجمعين، بل أراد نزع صفة الربوبية عن الرب الذي يدعو له إبراهيم، فجعل نفسه ندا ومثيلا لرب إبراهيم ورب الناس أجمعين؛ فانتقل به إبراهيم في الحجاج الدائر بينهما إلى دليل قاطع يزيل به فهمه الطاغوتي الظالم في حقه وحق غيره، وهو دليل تعجيزي يبرهن على مدى قوة وعظمة رب إبراهيم، خالق الخلق والناس أجمعين، هذا الدليل هو طلب إيتاء الشمس من المغرب بدلا من مجيئها من المشرق.

يتبع

---

* باحث في الدراسات القرآنية

تَقوى اللّه وحسْن الخلقِ أكثر ما يَدخِل الجنة (2/2)

ذ.محمد بن شنوف

عن أبي ذَرٍّ جُنْدب بن جُنادة وأبي عبد الرحمن معاذ بن جبل رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحَهَا وخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» رواه الترمذي وقال: حديث حسن. ويدخل في هذا المعنى حديث أبي هريرة عن النبي لما أنه سُئل: «مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ؟ قَالَ تَقْوَى اللَّهِ وحُسْنُ الخُلُقِ» أخرجه الإمام أحمد وابن ماجة والترمذي وصححه.

تحدثنا في العدد الماضي عن التقوى التي صدر بها رسول الله ﷺ حديثه الشريف، وفي هذا العدد سنتطرق بحول الله تعالى إلى مفهوم التوبة ومعاني الأخلاق المستفادة من هذا الحديث الشريف.

ثانيا: التوبة

قوله ﷺ «وأَتبع السيئةَ الحسنةَ تَمحُهَا»، أصل هذه الوصية في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً من اللَّيْلِ إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (هود 114)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَذينَ اتَّقَوا إِذَا مَسَّهُم طائِفٌ من الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾، (الأعراف 201)، وقد وصى تعالى المتقين في كتابه بمثل ما وصى به النبيُّ ﷺ في هذه الوصية في قوله عز وجل : ﴿سَارِعُوا إِلى مَغْفِرَة من رَبِّكُم وجَنَّة عَرْضُهَا السَّمواتُ والارْض أعدَّتْ للمُتَّقينَ الذينَ يُنْفِقُونَ في السَّرَّاء والضَّرَّاءَ والكَاظمينَ الغَيْظ والعَافينَ عن النَّاس واللَّهُ يُحبُّ المُحْسنينَ والذينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فاسْتَغْفَرُوا لذُنُوبهمْ وَمَنْ يَغْفرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصرُّوا على مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُولَئكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفرَةٌ منْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْري منْ تَحْتهَا الأَنْهَارُ خَالدينَ فيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلينَ﴾ (آل عمران 136-133). فوصف المتقين بمعاملة الخلق بالإحسان إليهم بالإنفاق وكظم الغيظ والعفو عنهم، فجمع بين وصفهم ببذل الندى واحتمال الأذى، وهذا هو غاية حسن الخلق الذي وصى به النبي ﷺ معاذاً، ثم وصفهم بأنهم إذا فعلوا فاحشة، أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ولم يصروا عليها. فدل على أن المتقين قد يقع منهم أحيانا كبائر وهي الفواحش، وصغائر وهي ظلم النفس، لكنهم لا يصرون عليها بل يذكرون الله عقب وقوعها ويستغفرونه ويتوبون إليه منها.(انظر جامع العلوم والحكم ص 142).

غير أن ما يجب أن يعلمه المؤمن في هذا الشأن هو معرفة الوسائل التي تحصل بها التوبة ليحرص على الإتيان بها. وتحصل التوبة بسائر أنواع العبادات الخالصة والصائبة في أدائها، فتكون بإسباغ الوضوء وكثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة وأداء الزكاة والصدقات وبالصيام والقيام وحج بيت الله الحرام، وذكر الله على كل حال والكفارات والحدود، وبر الوالدين وصلة الرحم والاستغفار وحمل الجنائز

والعقوبات القدرية، "لاَ يُصيبُ المُسْلم نَصَبٌ ولاَ وصَبٌ ولاَ هَمٌّ ولا حزَنٌ حَتّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُها إِلاَّ كَفَر اللَّهُ بهَا خَطَايَاهُ"، وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة على ذلك. وروى مسلم في باب الحض على التوبة: "لَلَّهُ أَشدُّ فَرحاً بتَوْبَة عبْده حينَ يَتُوبُ إِلَيْه منْ أَحَدكُمْ كَانَ عَلى رَاحلَته بأَرْض فَلاَة فَانْفَلَتَتْ منْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُه وَشَرَابُهُ، فَأَيسَ منْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فاضْطَجَعَ في ظلِّهَا وَقَدْ أَيسَ منْ رَاحلته، فَبَيْنَما هُوَ كَذلك إِذ هُوَ بهَا قَائمَةٌ عنْدَهُ. فَأَخَذَ بخطَامهَا ثُمَّ قَالَ منْ شدَّة الفَرَح: أَنْتَ عَبْدي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ منْ شدَّة الفَرَح". والصحيح عند الجمهور أن الصغائر تكفرها الوسائل الآنفة الذكر، وأما الكبائر فلا تكفر بدون التوبة. لأن التوبة فرض على العباد. قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولئكَ هُمُ الظَّالمُونَ﴾ (الحجرات11). وهل تمحى الذنوب فلا يطلع عليها المذنب يوم القيامة؟ ظاهر الحديث "وأَتْبِعِ السَّيِّئَة الحسنة تَمْحُهَا". أنها تمحى من صَحَف الملائكة بالحسنة إذا عُملَتْ بَعْدَهَا. والصحيح عند المحققين أنها لا تمحى، بدليل قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الكتَابُ فَتَرَى المُجْرمينَ مُشْفقينَ ممَّا فيه ويَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَال هَذَا الكتَابَ لا يُغَادرُ صَغيرَةً وَلاَ كَبيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا﴾، (الكهف/48).

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مثْقَالَ ذَرَّة خَيْراً يَرَهُ ومَنْ يَعْمَلْ مثْقَالَ ذَرَّة شَراً يَرَهُ﴾ (الزلزلة 9-8).

ونختم حديثنا عن هذه المسألة بحديث المقاصّة: قال رسول الله ﷺ: "أَتَدْرُون مَا المُفْلسُ؟ قالوا: المُفْلسُ منَّا مَنْ لا درْهَمَ لَهُ ولا مَتَاعَ، فَقَال: المفلسُ منْ أُمَّتي مَنْ يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة... ويأتي قد شتم هذا وقَذَفَ هذا وأكل مَالَ هذا وسَفَكَ دَمَ هذا، فَيُعْطَى هذا منْ حَسَنَاته، وهَذَا منْ حَسَنَاته، فَإِنْ فَنَيَت حَسَنَاته قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْه، أُخذَ منْ خَطَايَاهُمْ فَطُرحَتْ عليْه ثم طُرحَ في النَّار" (رواه مسلم والترمذي وغيرهما عن أبي هريرة).

ثالثا : الأخلاق

قوله ﷺ: "وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُق حَسَنٍ"، من المعاني اللغوية للخُلق: السجيةُ والطبع والمروءة والدِّين والعادة. وعرف ابن مسكويْه الأخلاق بقوله: (الخلقُ حَال للنفس داعيَّة لَهَا إلى أفعالها من غير فكر ولا رَوية، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج... ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدريب)، (تهذيب الأخلاق ص31)، ويقول الإمام الغزالي: (الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويُسر من غير حاجة إلى فكر وروية؛ فإذا كانت الهيئةُ بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقا حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا)،(الإحياء ج 3 ص : 58)

نفهم من هذين التعريفين أموراً منها:

1 - الخلق حال للنفس أو هيئة لها، أي صفة للجانب النفسي في مقابل الخَلْق الذي هو صفة للجانب الجسدي. وفي دعاء الرسول ﷺ كان يقول: "اللهم أحسنت خلقي فحسن خلقي"

2 - الصفة النفسية لا بد أن تكون راسخة وعادة دائمة تتكرر كلما تكررت دواعيها، فالمتصدق مرة في حياته لا يعتبر كريما.

3 - الخلق إما فطريٌّ يولد الإنسان مزوداً به كالحب والحلم والحياء، وإما مكتسب ينشأ بالتعود والتدريب كالصبر والشجاعة والإيثار.

4 - وأن الخلق يطلق على المحمود والمذموم، لذلك يلزم التقييد فنقول: الصبر خلق حميد، والغرور خلق ذميم.

5 - وأن الأفعال المحمودة ما حسنه العقل والشرع معاً والمذمومة ما ذمها الشرع والعقل.

وإذا كانت التقوى هي حق الله على العباد، فإن حقوق العباد بعضهم على بعض هي الجانب الأخلاقي في الإسلام. ولا تؤتي التقوى ثمارها إلا بشيوع روح المحبة والرحمة والعدل والمساواة والتكافل والتعاون لتحقيق مبدإ الأخوة الإسلامية. وقد خص القرآن الكريم رُبُع آياته: (1504 آية) لموضوع الأخلاق فيه. وتأكيداً لهذا المعنى جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَق"، (رواه أحمد والحاكم والبيهقي)، وقال سعد بن هشام: (دخلت على عائشة رضي الله عنها وعن أبيها فسألتها عن أخلاق رسول الله ﷺ فقالت: أَمَا تَقْرَأ القرآن؟ قلتُ: بَلَى، قالت كان خلق رسول الله ﷺ القرآن).

فما هي محاسن الأخلاق التي حث رسول الله ﷺ معاذاً على التخلق بها؟

يقول الإمام الغزالي: (وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال: هو أن يكون كثير الحياء قليل الأذى كثير الصلاح صدوق اللسان، قليل الكلام كثير العمل، قليل الزلل قليل الفضول، برّاً وصولاً وقوراً صبوراً شكوراً، راضيا حَليما رفيقاً عفيفاً شفيقاً، لا لعانا ولا سباباً ولا نماما ولا مغتابا ولا عجولا ولا حقوداً ولا بخيلاً ولا حسوداً، بشاشا هشاشا يحب في الله ويبغض في الله، ويرضى في الله ويغضب في الله. فهذا هو حسن الخلق)، (الإحياء ج 3/75)

وإذا نظرنا إلى الواقع الاجتماعي لحياة الأمة وجدنا أن الأسرة المسلمة تخلت عن دورها في رعاية الأبناء الرعاية الدينية والخلقية المتمثلة في القدوة الحسنة والإشراف والنصح والتوجيه، لغلبة ما يتأثر به الأطفال من الشارع ووسائل الإعلام، وكذا شيوع تيار الإلحاد بالجامعات. ولا يتم إصلاح أوضاعنا إلا بمناهج تربوية بمنظور فلسفة إسلامية تجسد هويتنا في سياستنا وتربيتنا وسائر معاملاتنا، دون التغافل عن قيمة القدوة الصالحة التي يجب أن يجدها الناشئة في الآباء والأمهات والمدرسين والمسؤولين. والرسول ﷺ كان خُلُقه القرآن، فَلْتَكُنْ لَنَا في رسول الله الأسوة الحسنَة. والله هُو الهَادِي إلى سواء السبيل.

الآراء الواردة في مقالات الجريدة تعبر عن وجهة نظر أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الجريدة

جريدة المحجة
المدير المؤسس: ذ. المفضل فلواتي
المدير المسؤول: د. عبد العلي حجيج
مسؤول الإخراج: رشيد صدقي
الموقع الالكتروني : www.almahajjafes.net
البريد الالكتروني : almahajjafes@gmail.com
عنوان المراسلة : حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 فاس المغرب
الهاتف : 0535931113
الناسوخ : 0535944454
الإيداع القانوني : 1994-61
رقم الصحافة : 91/11
الترقيم الدولي : 3627-1113
الطبع : إكوبرانت
التوزيع : سابريس

حتى لا يغيب عنا المعنى التعبدي للأضحية

د. امحمد العمراوي

تقديم :

من الأيام المباركة عشر ذي الحجة، التي أقسم الله بها في قوله ﴿والفجر وليال عشر﴾ ومن بركتها أن الله تعالى جمع فيها عبادات عدة، منها ذبح الأضاحي في اليوم العاشر، والملاحظ أن كثيرا من الناس بدأ يغيب عنهم المعنى التعبدي في هذا النسك، وظن الكثيرون أنما هو لحم وكفى، ولذلك وجد من لا يبحث في أسنان الضحايا، ومن لا ينظر في عيوبها، ومن لا يضحي لأنه مريض بالسكر مثلا ولا يأكل لحم الغنم، ووجد من يقارن بين ثمن البقر وثمن الغنم وكثرة اللحم وقلته دون نظر إلى أيهما أفضل ولا إلى أيهما بلغ سن الإجزاء... لذلك -وغيره كثير- أقدم بعض أحكام هذه العبادة التي أكرمنا الله بها، وهذا القربان الذي تفضل الله علينا به، قال تعالى : ﴿لن ينال اللهَ لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾ (الحج : 35)

فضل يوم النحر :

عن عبد الله بن قرط أن رسول الله ﷺ قال: «أعظم الأيام عند الله يوم النحر، ثم يوم القر...»

ويوم القَرّ هو اليوم الحادي عشر.

عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام».

فضل الأضحية :

قال أبو عمر : وقد روي في فضل الضحايا آثار حسان، فمنها ما رواه سعيد بن داود بن أبي الزبير عن مالك عن ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ: «ما من نفقة بعد صلة الرحم أعظم عند الله من إهراق الدم....»

وأخبرنا عبد الوارث بن سفيان قال حدثنا قاسم بن أصبغ قال حدثنا محمد بن الجهم السمري قال حدثنا نصر بن حماد قال حدثنا محمد بن راشد عن سليمان بن موسى عن عطاء بن أبي رباح عن عائشة قالت : يا أيها الناس ضحوا وطيبوا بها أنفسا فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ما من عبد توجه بأضحيته إلى القبلة إلا كان دمها وفرثها وصوفها حسنات محضرات في ميزانه يوم القيامة فإن الدم وإن وقع في التراب فإنما يقع في حرز الله حتى يوفيه صاحبه يوم القيامة».

حكم الأضحية :

الأضحية سنة في حق كل مسلم غير حاج لا يحتاج لثمنها في ضرورياته في عامه وإن كان يتيما، والأصل في ذلك فعل رسول الله ﷺ الذي داوم عليه. فعن أنس رضي الله عنه، قال: «ضحى النبي ﷺ بكبشين أملحين أقرنين، ذبحهما بيده، وسمى وكبر، ووضع رجله على صفاحهما» وقال ابن عمر في الضحية ليست بحتم ولكنها سنة ومعروف، وذكر ابن عبد البر عن أبي بكر وعمر وأبي مسعود الأنصاري وابن عباس رضي الله عنهم ما يفيد تركهم للأضحية. ثم قال تعقيبا على هذه الآثار: وهذا أيضا محمله عند أهل العلم لئلا يُعتقد فيها للمواظبة عليها أنها واجبة فرضا، وكانوا أئمة يقتدي بهم من بعدهم ممن ينظر في دينه إليهم لأنهم الواسطة بين النبي وبين أمته فساغ لهم من الاجتهاد في ذلك ما لا يسوغ اليوم لغيرهم، والأصل في هذا الباب أن الضحية سنة مؤكدة، لأن رسول الله ﷺ فعلها وواظب عليها أو ندب أمته إليها.

أنواع الضحايا :

أجمع العلماء أن الأضحية تكون من الأزواج الثمانية التي قال الله تعالى، وهي الإبل والبقر والغنم.

الأفضل في الضحايا:

أفضل الضحايا الضأن لأنه الذي ضحى به النبي ﷺ كما في حديث أنس رضي الله عنه السابق، ثم يليه المعز لأنهما نوع واحد يجمعهما اسم الغنم، ثم البقر بعد الإبل، قال ابن العربي: والدليل على ذلك: أن النبي ﷺ إنما ضحى بالغنم، ولو كانت الإبل أفضل لضحى بها. ومما يدل أيضا على أنها أفضل من الإبل في الضحايا أن الله تعالى فدى الذبيح من الذبح بكبش، فقال في كتابه العزيز: ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾

أسنان الضحايا :

عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تذبحوا إلا مسنة، إلا أن يعسر عليكم، فتذبحوا جذعة من الضأن»

ففي هذا الحديث أنه لا يجزئ من الأضاحي إلا مسنة، والمسنة هي الثنية وهي التي تلقي ثنيتها وهي في ذات الظلف التي أكملت ثلاث سنين وفي ذات الخف التي أكملت خمس سنين، ولم يستثن إلا الضأن، وعلى ذلك أجمع العلماء، قال عياض: ولا خلاف بين العلماء أنه لا يجزئ الجذع إلا من الضأن وحدها، وهكذا فالذي يجزئ من المعز ما أكمل سنة ودخل في الثانية، والذي يجزئ من البقر ما أكل ثلاث سنين والذي يجزئ من الإبل ما أكمل خمس سنين، وأما الضأن فاختلفوا هل الجذع هو ابن ستة أشهر أو ثمانية أو عشرة فإذا أكمل سنة فهو ثني، قال ابن العربي: وأجمعوا أن الثني فما فوقه يجزئ منها كلها. وأجمعوا أنه لا يجوز الجذع من المعز في الضحايا ولا في الهدايا، لقوله ﷺ لأبي بردة: «ولن تجزي عن أحد بعدك» واختلفوا في الجذع الضأن، فأكثر أهل العلم يقولون: يجزئ الجذع من الضأن هديا وأضحية.

حكم الاشتراك في الأضحية :

الاشتراك في الأضحية نوعان: اشتراك في الأجر واشتراك في الثمن، أما الاشتراك في الأجر فجائز بشروط :

- أن يسكن المشرَك مع المشرك في مسكن واحد ولو حكما بأن يجمعهما بابَ واحد.
- أن يكون المشرَك قريب المشرك.
- أن يتولى المشرِك الإنفاق على المشرَك ولو تبرعا.

والأصل في ذلك حديث عائشة رضي الله عنها، وفيه أن رسول الله ﷺ قال في ذبح الأضحية : «باسم الله، اللهم تقبل من محمد، وآل محمد، ومن أمة محمد، ثم ضحى به»

وأما الاشتراك في الثمن فلا يصح، ولا تجزئ معه الأضحية أيا منهم، لأن التضحية عبادة والعبادة لا تتبعض، ولا يجزئ فيها واحد عن واحد، ولم يرد في الشرع ما يجوزها، وحديث جابر في الحديبية فمردود من وجوه ليس هذا محل بسطها.

تنبيه: هذا إن دخل المشرك مع المشركين فإن لم يدخل معهم أجزأت عنهم بلا شرط.

ما لا يجزئ من الضحايا :

أجمع العلماء على أنه لا يجزئ من الضحايا العرجاء البين ظلعها، والعوراء البين عورها، والمريضة البين مرضها، والعجفاء التي لا تنقي، والأصل في ذلك ما روى البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ سئل: ماذا يُتقى من الضحايا؟ فأشار بيده وقال: «أربعا» وكان البراء يشير بيده ويقول يدي أقصر من يد رسول الله ﷺ «العرجاء البين ظلعها، والعوراء البين عورها، والمريضة البين مرضها، والعجفاء التي لا تنقي» ومثل ذلك العمياء والصمعاء وهي صغيرة الأذنين جدا والبتراء وهي التي لا ذنب لها خلقة أو طروا والبكماء وهي فاقدة الصوت والبخراء وهي متغيرة رائحة الفم. ومشقوقة أذن أكثر من ثلث، ومكسورة أكثر من سن لغير إثغار أو كبر، وذاهبة ثلث ذنب...

ما يجزئ من الضحايا :

من العيوب التي لا تؤثر في الإجزاء كون الأضحية جماء أي لا قرن لها أو مقعدة لشحم أو سمن، أو مكسورة قرن إن برئ، فإن لم يبرأ فلا تجزئ.

وقت الأضحية :

يبدأ وقت الأضحية من حين ذبح الإمام إلى غروب شمس اليوم الثالث، ومن ذبح قبل الإمام أعادها، والأصل في هذا ما روى البراء بن عازب، قال: قال النبي ﷺ: «إن أول ما نبدأ في يومنا هذا أن نصلي، ثم نرجع فننحر، فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا، ومن نحر قبل الصلاة فإنما هو لحم قدمه لأهله، ليس من النسك في شيء» فقال رجل من الأنصار يقال له أبو بردة بن نيار: يا رسول الله، ذبحت وعندي جذعة خير من مسنة، فقال: «اجعله مكانه ولن توفي أو تجزي عن أحد بعدك»

وعن جابر بن عبد الله، قال: صلى بنا النبي ﷺ يوم النحر بالمدينة، فتقدم رجال فنحروا، وظنوا أن النبي ﷺ قد نحر، «فأمر النبي ﷺ من كان نحر قبله أن يعيد بنحر آخر، ولا ينحروا حتى ينحر النبي ﷺ»

مندوباتها :

يندب في الأضحية الجيد السالم من العيوب السمين الذكر الأقرن الأبيض، والأصل في ذلك أحاديث أضحيته ﷺ ومنها حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أمر بكبش أقرن يطأ في سواد، ويبرك في سواد، وينظر في سواد، فأتي به ليضحي به، فقال لها: «يا عائشة، هلمي المدية»، ثم قال: «اشحذيها بحجر»، ففعلت: ثم أخذها، وأخذ الكبش فأضجعه، ثم ذبحه، ثم قال: «باسم الله، اللهم تقبل من محمد، وآل محمد، ومن أمة محمد، ثم ضحى به» وحديث أنس أنه عليه السلام ضحى بكبشين أملحين أقرنين، وقوله تعالى «وفديناه بذبح عظيم»

ما يندب للمضحي :

- يندب للمضحي -ونعني به الذي يريد أن يضحي بنفسه والذي يريد غيره أن يضحي عنه كالزوجة والولد..- أن يترك حلق جميع شعر بدنه وأن يترك قلم أظافره عشر ذي الحجة، والأصل في ذلك قوله ﷺ : ندب للتشبيه بالحاج.
- يندب للمضحي ولو امرأة أو صبيا ذبح أضحيته بيده اقتداء بسيد العالمين، فقد سبق في أكثر من حديث صحيح أنه ﷺ ذبح أضحيته بيده.
- يندب للمضحي أن يذبح أضحيته في اليوم الأول لأن النبي ﷺ إنما ذبحها فيه.
- يندب للمضحي أن يجمع بين الأكل والصدقة، والإعطاء بلا حد بثلث أو غيره.

الأضحية والصدقة أيهما أفضل؟

التضحية يوم العيد أفضل عند جماهير أهل العلم من التصدق بثمنها، لكونها سنة وشعيرة من شعائر الإسلام، قال القرطبي نقلا عن غير واحد: الضحية أفضل من الصدقة، لأن الضحية سنة مؤكدة كصلاة العيد، ومعلوم أن صلاة العيد أفضل من سائر النوافل. وكذلك صلوات السنن أفضل من التطوع كله .

ما يمنع في الأضحية :

يمنع بيع شيء منها جلدا أو صوفا أو غيرهما كما يمنع أن يعطي الجزار أجرته منها ولو ذبح قبل الإمام أو تعيبت حالة الذبح أو قبله، لأنها خرجت لله.

الاستجابة لله ولرسوله... حياة.

ذ: عبد العزيز بن ادريس

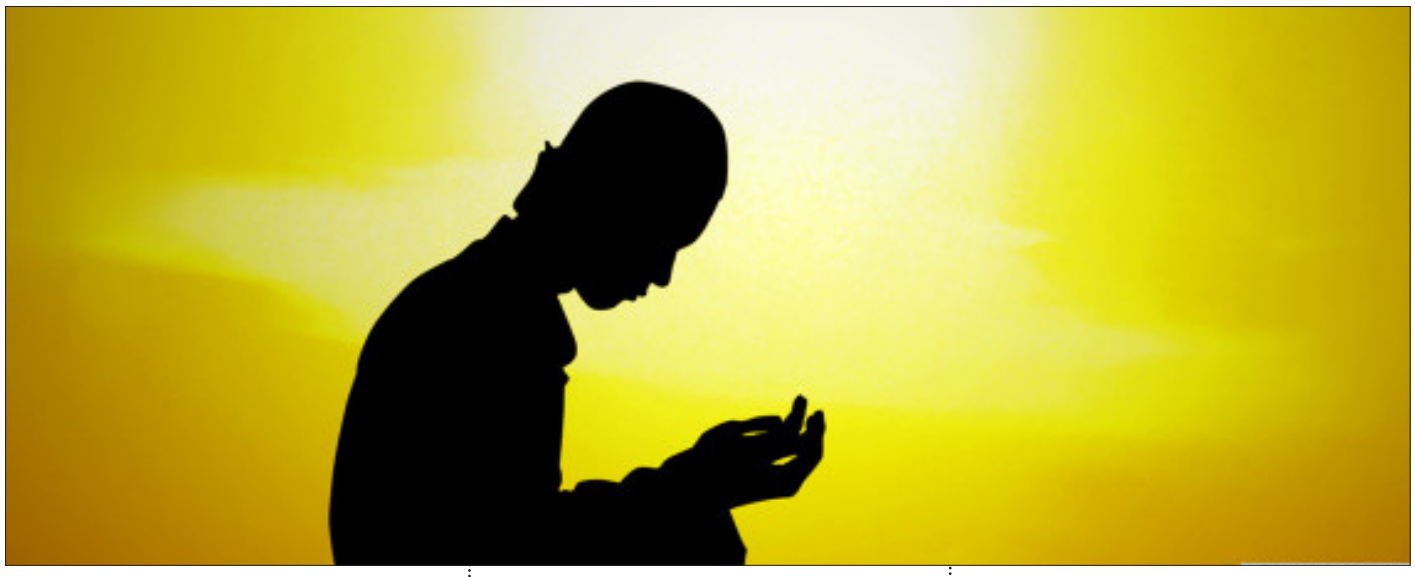

عباد الله :

إن الحياة الحقيقية الطيبة إنما تحصل بالاستجابة لله ورسوله، وهي متباينة في الدرجات والمراتب، كل ذلك بحسب تمسك العبد وقربه من الله تعالى، فكلما ازداد تمسك العبد وخضوعه للكتاب والسنة تحكيماً وإذعاناً، وقبولاً وتسليماً، ارتقى في درجات الحياة الطيبة وذاق طعمها، فليحذر الإنسان من مخالفة شرع الله والإعراض عنه، فإنها الخسارة في الدنيا والآخرة.

أيها المسلمون: اتقوا الله تبارك وتعالى، فإن من اتقى الله عز وجل بفعل أوامره وترك زواجره، وُفق لمعرفة الحق من الباطل، والهدى من الضلال، فكان ذلك سبب نصرته ونجاته ومخرجه من أمور الدنيا، وسعادته يوم القيامة، يقول جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الأنفال 29).

وإن من لوازم تقوى الله أن يستجيب المسلم لأوامر الله تعالى ورسوله ﷺ، كما أمر الله بذلك في محكم كتابه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال : 24). قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : فتضمنت هذه الآية أموراً منها: أن الحياة النافعة إنما تحصل بالاستجابة لله ورسوله، ومن لم تحصل منه هذه الاستجابة فلا حياة له، وإن كانت له حياةٌ بهيميةٌ مشتركةٌ بينه وبين أرذل الحيوانات، فالحياة الحقيقية الطيبة هي حياة من استجاب لله والرسول ظاهراً وباطناً، فهؤلاء هم الأحياء وإن ماتوا، وغيرهم أموات وإن كانوا أحياء الأبدان، ولهذا كان أكمل الناس حياة أكملهم استجابةً لدعوة الرسول ﷺ، وإن كل ما دعا إليه ففيه الحياة، فمن فاته جزءٌ منه، فاته جزءٌ من الحياة، وفيه من الحياة بحسب ما استجاب للرسول.

فلا حياة حقيقية، إلا لمن استجاب لله ورسوله ﷺ، ولا تحصل الاستجابة إلا بطاعة الله ورسوله، والوقوف عند حدود الله عزوجل، ولزوم سنة رسول الله ﷺ، والاحتكام إليها، والرضا بها، والتسليم المطلق بها : ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ (النساء : 64).

عن أبي سعد بن المعلى رضي الله عنه، قال: «كنت أصلي، فمر بي النبي ﷺ، فدعاني، فلم آته حتى صليت، ثم أتيته، فقال: ما منعك أن تأتيني؟ قلت: كنت أصلي. قال:ألم يقل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾. فإذا كانت إجابة أمر الرسول ﷺ واجبة في حياته، فإن الاستجابة لسنته بعد وفاته واجبة، وتحرم مخالفتها وتقديم شيء عليها، وقد رتب الله تعالى الوعيد الشديد، والانتقام الأكيد على المخالفين لها بقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. قال الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره لهذه الآية: أي: فليحذر وليخش من مخالفة شريعة الرسول باطناً وظاهراً، ﴿أن تصيبهم فتنة﴾ أي: في قلوبهم من كفر أو نفاق، أو بدعة، ﴿أو يصيبهم عذاب أليم﴾ في الدنيا بقتل أو حد أو حبس، أو نحو ذلك. وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إن رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك. والفرق ما بين المؤمنين والمنافقين سرعة الاستجابة لله ورسوله، والمبادرة إلى امتثال أوامر الله ورسوله، والسمع والطاعة، والانقياد للحق إذا ظهر، يقول تعالى مبيناً صفات الفريقين في ذلك: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَل أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (النور 49 – 50).

عباد الله: إذا كان تأخر الصحابي الجليل أبي سعد بن المعلى لحظات عن أمر الرسول ﷺ حين دعاه، وهو يصلي ويعبد الله، سبَّب إنكار الرسول ﷺ عليه، لعدم مبادرته واستجابته لأمره، فكيف بحال كثير من الناس اليوم ولا حول ولا قوة إلا بالله؟! وقد آل الأمر بكثير من الناس إلى نبذ أوامر الله وسنة رسوله ﷺ وراء ظهورهم والعياذ بالله. ومن تأمل ما يعيشه فئام من البشر، وجد أن أقوالهم وأعمالهم وتصرفاتهم واعتقاداتهم تترجم ذلك وتفصح عنه جيداً. فاتقوا الله و﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّنْ مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾.

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، وارزقنا السير على سنة المصطفى الأمين، وثبتنا على الصراط المستقيم، وأجرنا من العذاب الأليم، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم، إنه هو الغفور الرحيم.

ما أشد ضرورة المسلمين في هذا الزمن إلى استجابة الله لهم! ولكن لما حصل الخلل في استجابتهم لله ورسوله، مُنعوا من إجابة الله لهم، ووكلوا إلى أنفسهم، ومن وكله الله إلى نفسه، وكله إلى ضعف وعجز وعورة، ولن تنكشف الغمة، وتصلح حال الأمة إلا بقيامها لله مثنى وفرادى جماعات ودولا، واستجابتها لسنة رسول الله ﷺ، وحمايتها والغيرة عليها، والثأر لها، ونصرة المستمسكين بها

الخطبة الثانية

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه.

عباد الله :

اعلموا أن من استجاب لله استجاب الله له، يقول تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُم أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنكُم مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ (آل عمران 150). وقال عز وجل مبيناً نتيجة الفريقين: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (الرعد 20) . وما أشد ضرورة المسلمين في هذا الزمن إلى استجابة الله لهم! ولكن لما حصل الخلل في استجابتهم لله ورسوله، مُنعوا من إجابة الله لهم، ووكلوا إلى أنفسهم، ومن وكله الله إلى نفسه، وكله إلى ضعف وعجز وعورة، ولن تنكشف الغمة، وتصلح حال الأمة إلا بقيامها لله مثنى وفرادى جماعات ودولا، واستجابتها لسنة رسول الله ﷺ، وحمايتها والغيرة عليها، والثأر لها، ونصرة المستمسكين بها: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت).

أيها المسلمون: إن من علامة توفيق الله لعبده في هذه الحياة، أن يسير على وفق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، في أقواله وأفعاله وتصرفاته، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ (الأنفال 31-32). فاحذروا – رحمكم الله- التولي عن طاعة الله ورسوله، ﴿وأنتم تسمعون﴾، أي: بعد ما علمتم ما دعاكم إليه، فإن هذا الصنف من الناس شر الخليقة عند الله: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ﴾أي: عن سماع الحق، ﴿البكم﴾: عن فهمه، ﴿الذين لا يعقلون﴾: عن الله ورسوله أمره ونهيه.

وصلوا وسلموا – رحمكم الله- على محمد بن عبد الله، كما أمركم الله بالصلاة والسلام عليه بقوله:﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.

منزلة الإخلاص* : الجزء الثاني

الإخلاص تنقية للقلب وتصفية للوجدان

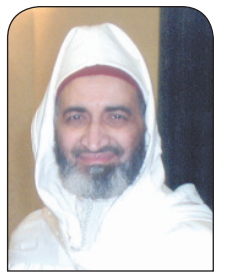

فريد الأنصاري رحمه الله تعالى

1 - طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله :

الإنسان يعمل العمل بمراتب متعددة من حيث الإخلاص فيه، ذلك أنه أحياناً قد يطلبه لغير الله، فيبقى لغير الله، وقد يطلبه لغير الله فيأبى عليه إلا أن يكون لله، كما نُقل عن الزهري رحمه الله قال: طلبنا هذا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله، كان ذلك في القرون الهجرية الأولى، القرن الأول أو أواخر القرن الأول بالأحرى والقرن الثاني حتى الثالث كانت حركة جمع الحديث وتوثيق الحديث نشيطة في المجتمعات الإسلامية، حتى صار الشباب يتباهون بأنهم ينقلون الحديث أو يكتبونه أو أنهم من المحدثين، ودخل فيهم من ليس منهم، وهذا معروف، فكثير من الناس يتصدون لبعض الصناعات، ولبعض العلوم فقط من أجل (المُوضَة)، كما نُعبِّر بلغة اليوم، وهذا معناه طلب العلم لغير الله، ولكن عندما بدأ يكتب الحديث وجد فيه مواعظ ووجد ما يُذكّره بالله ويزجره زجراً، فأبى العلم نفسه، وطبيعة العلم الشرعي أبت عليه إلا أن يكون ذلك العلم لله، فإذن هذه مرتبة من المراتب، فقد يسبق الإخلاصُ الفعلَ، وقد يقرنه ولا يسبقه، يمكن للإنسان أن يكون مخلصا من البداية، ويمكن أن لا يكون مخلصا من البداية، جاء به حُبّ الاستطلاع، كما حُكي عن القعلبي رحمه الله تعالى، وهو شيخ من شيوخ البخاري وتلميذ من تلامذة مالك، وهذه قصة طريفة يحكيها أهل الحديث في ترجمة هذا الإمام، (أن شاباً عربيا من الشباب الطائش، وكان مُدلّلا ووحيد أمه، وكان له أصحاب غناء وطرب، فخرج يوماً يتجول في المدينة، وكان من أهل المدينة المنورة، ووجد شيخاً من الشيوخ أحاط به شباب العلم، يتزاحمون على خِطام ناقته، ويتسابقون من يمسك لجام ناقته، فقال من هذا؟ من شدة الغَيرَة، فقالوا له: هذا أمير المؤمنين في الحديث -وكانت هذه العبارة من عبارات التعديل الراقية عند العلماء، وقد قيلت حتى هذه اللحظة في عدد من العلماء كالحاكم النيسابوري رحمه الله تعالى وغيره- أمير المؤمنين في الحديث، من؟ شعبة بن الحجاج نَقّادَة الحديث، وهو من أهل العراق، فدخل الشاب يريد أن يرى أمير المؤمنين في الحديث، دخل يتزاحم مع الناس، وشد له لجام الناقة، وصنع لنفسه مكانا، وقال له متهكما: حدثني، فقال له الرجل أكرم حديث رسول الله ﷺ من أن تعبث به، أو كما قال، يعني ليس الحديث مجالا للعب، فقال له: إلا أن تحدثني، فحدثه بسنده، حدثنا فلان قال، حتى قال: قال رسول الله ﷺ: « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى، إذا لم تستح فاصنع ما شئت»، فكانت له موعظة إلى يوم القيامة، فانسل من المجمع وعاد إلى داره، وقال لأمه: إذا جاء أصحابي أكرميهم وقولي لهم: لم يعد صاحبَكم، ودَّعكم، والسلام عليكم، وانطلق نحو العراق، لحق بهذا الإمام ليطلب الحديث عنده ووجده بعد ذلك قد مات، ثم رجع إلى المدينة وتتلمذ على الإمام مالك رحمه الله تعالى، وأنعم به إماماً، ثم كان بعد ذلك شيخا من شيوخ البخاري صاحب الصحيح، وصار رجلاً يُذكر في أسانيد العلم، فلننظر كيف كانت بدايته؟، طلب العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله، أراد أن يلهو بعض الشيء كعادة الشباب الطائش ولكن العلم قاده إلى الله رغم أنفه، مادام أن الله قد كتب له الهداية.

2 - اللهم إني أعوذ بك من الحور بعد الكور :

وقد يكون المؤمن قد طلب الإخلاص ابتداء، ومن طلب الخير ابتداء فإن الله يوفقه إليه، إن لم يقع عليه زيغ بعد، لكن قد يحدُث أن الإنسان يبدأ بالإخلاص وينتهي بالإفلاس والعياذ بالله، نسأل الله العافية، وفي هذا دعاء النبي ﷺ «اللهم إني أعوذ بك من الحَوْر بعد الكَوْر»، والكور طريقة وضع العمامة على الرأس عندما يُكَوِّرُها صاحبها، والحور هو العملية العكسية أي نزع العمامة، فكان يستعيذ من الحور، يعني الحل بعد الجمع ﴿كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾، فقد يبدأ الإنسان العمل الصالح حتى إذا استقر خسره، فكم من شخص مثلا بنى مسجدا لله في بداية أمره، فأتاه سكان الحي وقالوا له: أنت رجل صالح بنيت الجامع، نريدك أن تترشح في الانتخابات، فتربص به إبليس وأغراه فدخل في اللعبة، ماذا وقع له؟ صار يُوظّف -وهنا الخطر- المسجد في الدعاية، بدأ يبين للناس بأنه صاحب الجامع ولذلك وجب أن ينجح في الانتخابات ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾، «من سَمَّعَ سَمَّعَ الله به يوم القيامة»، بدأ مخلصاً وانتهى مفلساً من بعد ما استدرجه إبليس وأهلكه، فالمؤمن إذن لا يأمن، ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾، دائما خائف لأنه (من خاف نجى)، وهذه حكمة في أصلها حديث، ولكن نحن نطبقها مع البشر، وهذا تحريف للحديث، وإنما يجب أن تُطبق مع الله عز وجل، وصيغة الحديث «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة»، فإذن النتيجة: من خاف نجا، وصل إلى الجنة، بلغ المنزل، ولكن الخوف من الله لا من البشر، أما الخوف من البشر فقد يؤول إلى الشرك الأكبر والعياذ بالله.

3 - حركة القلب في طريق تصفية الأعمال :

من هاهنا إذن كان الإخلاص، -هذه زبدة التعريف- والآن لنخلص بحول الله إلى أمر آخر فيه، فالإخلاص حركة في القلب مهمتها تصفية الأعمال، بهذا المعنى للمنزلة، أو لمقام الإخلاص، وليس الإخلاص بالمعنى الأول الذي تكلمنا عنه وهو شهادة أن لا إله إلا الله اعتقاداً، لا، نتحدث الآن على تصفية الأعمال بمثل ما بينت الآن، وهو أن الإنسان رقيب نفسه، ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾، في مراقبة دائمة، وفي وجَل وخوف دائم نحو تصفية القلب، أو حركة القلب في طريق تصفية الأعمال، والمقصود بحركة القلب أن القلب مُتحرِّك دائما في الخير ودائما على حذر، «.... فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»، لأن التغيير بالقلب عملية ذاتية، ولا تعني السكوت إطلاقاً ولا وجه لذلك بحال، كثير من الناس فَسّرُوا قوله ﷺ: «فإن لم يستطع فبقلبه» أنه إذا لم يستطع تغيير المنكر بيده ولسانه فإنه يسكت، لا، لا، أبدا، «فإن لم يستطع فبقلبه» القاعدة هاهنا أن الدلالة دلالة اقتضاء، وهي من مراتب الدلالة القوية عند الأصوليين، يعني أن التعبير يقتضي: فإن لم يستطع فليغيره بقلبه، وإن كانت غير مذكورة «فليغيره» لأنها ذُكرت من قبل، وتفهم من الكلام، ومقتضى ذلك أن القلب يغير، من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، أي فليغيره بلسانه، والنبي ﷺ لا يعيد الكلام الزائد، أُوتي جوامع الكلم، كان كلامه ملخصا مركّزاً، «فإن لم يستطع فبقلبه» أي فليغيره بقلبه، إذن كيف يكون التغيير بالقلب؟ ماذا سيغير القلب؟ المقصود إذن أنه تغيير ذاتي بالداخل وليس بالخارج، لأن القلب لا يعمل خارجا، فإذا لم تستطع أن تدفع المنكر بطاقتك الكلية بيدك، ولم تستطع أن تتكلم وتنصح، وتقول هذا منكر، اعلم في هذه الحالة بأنك أصبحت مصطاداً في شبكة المنكر، وأن المنكر قد استولى عليك، ففر وخلِّص نفسك من المنكر، وهو معنى قوله ﷺ: «فليغيره بقلبه»، أنت إذن ما دمتَ تعيش وسط المنكر ولا تستطيع التغيير فاعلم أن المنكر يؤثر فيك، هو أصبح يغيِّرك، والمنكر متعدّ وليس بلازم، إما أن تغيره وإما أن يغيرك، أمَّا أن تسالمه فالمنكر لا يقبل، ولو قبلتَ أنت فالمنكر لا يقبل، لا بد أن يغيرك، فإما أن تغيره وإما أن يغيرك، أضعف الإيمان أن تُغَيِّر ما غَيَّر منك، «فليغيره بقلبه»، وهذه حركة داخلية، حركة القلب في تصفية الإحساس، حتى تُبقي على أن المعروف معروفا، وعلى أن المنكر منكرا، تحب المعروفَ وتبغض المنكر، ومن هاهنا كانت معاني الإخلاص تقوم على حركة قائمة بالقلب تُخلص لله بهذا المعنى، أي أنك تجتهد بقلبك أن تُصفي أعمالك، توتي العمل، وتحتاط من أن يوسوس لك إبليس برياء، أو برغبة في التسميع، أو بعُجْب أو منّ، ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾، فتحاربُ هذه وتلك، ولا يزال إبليس لعنه الله يُلقي عليك من الرغبة في المَنّ، والرغبة في الأذى، والرغبة في التسميع، والرغبة في الرياء، وأنت تدافع، وأنت تدافع، فأنت تغير بقلبك من ناحية، وأنت مخلِص إن شاء الله بهذا المعنى الثاني الذي هو منزلة الإخلاص، وإنما هي منزلة الصالحين الخاضعين لله عز وجل، الخشع المتبتلين له سبحانه وتعالى، ومن أجمع ما ورد في ذلك وألطفه في القرآن الكريم آية وجب على كل مسلم أن يضعها نُصب عينيه وهي قوله عز وجل ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾، آية جامعة مانعة لكل معاني الإخلاص، بالمعنى الأول الذي هو شهادة أن لا إله إلا الله، وبالمعنى الثاني الذي هو تنقية القلب وتصفية الوجدان من كل ما ينقض الأعمال الصالحة، ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾، الآية جامعة للإخلاص بالشقين؛ فأولا هو شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والله عز وجل هاهنا يخاطب نبيه محمدا ﷺ، ومن خلاله يخاطب كل الناس أن يلتزموا بهذا ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾، والصلاة هي أم العبادات على الإطلاق، العبادات العملية رأسها وأمها وعمادها الصلاة، ﴿وَنُسُكِي﴾، والنسك هو كل ما يُذبح لله عبادة له كالعقائق والأضحيات والهدي وكل ما في هذا المعنى مما يُذبح لله عز وجل، وفي هذه وتلك إشارة إلى ضروب الأعمال من العباديات المحضة، ومن العبادات التي فيها معنى المؤونة كما يقول العلماء، يعني توجد بعض العبادات التي هي عبادة محضة، مثل الصلاة ليس لها أي معنى إلا العبادة، وتوجد عبادة فيها قليل من الحظ، يعني أنت تعملها لله ولكن تستفيد منها في الدنيا أيضاً، كالنسك تذبحه لله، أنت الذي تأكله، تذبحه لله وتأكله، فلذلك إذن كان في هذا التعبير من الجمال ومن الإعجاز القرآني ما فيه إشارة إلى ضربي العمل اللذين يعملهما المسلم من العبادات المحضة والعبادات التي فيها، أو جاز لنا أن يكون لنا فيها حظ بالتّبَع لا بالقصد الأول، لكن ربي كريم يكرمنا بعبادتنا له سبحانه وتعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، والممات والمحيا كلاهما جَمَعَ عُمر الإنسان ابتداء وانتهاء، فكل حركة تقع من الإنسان في الدنيا، وكل ما يقصده الإنسان من الآخرة، كل ذلك هو لله رب العالمين لا شريك له، وهاهنا غاية الغايات وهي توحيد الله عز وجل، وهذا الذي أردنا أن نصل إليه بإرادة الله عز وجل له.

---

* منزلة الإخلاص من حلقات منازل الإيمان التي ألقيت بالجامع الأعظم بمكناس وهي مادة مسجلة على شريط سمعي.

أعدها للنشر : عبد الحميد الرازي

تغريب التعليم.. مسعى قديم يتكرّر!

ذ. فريد أمعضشو

1 - التعليم بين عالمين :

لقد أمْسى من المسلَّمات أن التعليم قاطرة التنمية الشاملة في أي بلد.. أقصد التعليم الناجع والفعّال الذي يستهدف تكوين مواطنين صالحين منفتحين على العالم انفتاحاً إيجابيا واعيا بقدْر تشبُّثهم بهُويتهم الأصيلة. ولذا، حَرَصت جميع الأمم –وما تزال– على الاهتمام به من كافة النواحي، وتوفير شروط ممارسته؛ ليكون، فعلا، في مستوى كسب الرهانات، وتحقيق تطلعات الناس. إلا أن الثمار المُحصَّلة من ذلك كانت شديدةَ التبايُن بين العالمين المتقدم والمتخلف. وهذا ما تكشفه، بوُضوح، التصنيفات الدَّوْلية للأنظمة التعليمية، في بلدان المعمورة كلها، والتي تصدر دوريّا. وهي –دائماً– تُبوِّئ التعليم في الغرب، بشقيه الأوربي والأمريكي، مكانَ الصدارة، لاعتبارات موضوعية لا جدال فيها. على حين نُلْفي تعليمَ أمة «اقرأ» في مراتب مُؤسِفة حقّاً!

إن التعليم في العالَم العربي يعيش، منذ أمد بعيد، أزماتٍ خانقةً، متعددةَ المظاهر والأبعاد، رغم الاعتمادات المالية الضخمة التي تُرْصد له في كثير من بلاده. وحين نُمْعن النظر فيه ندرك جيّدا أن التأثيرات الخارجية فيه من الكثرة بمكان، ولعلها من أبرز أسباب تأزمه وتخبُّطه حتى أضحى أشبهَ بذلك الغراب الذي أراد التخلص من مشيته المعيبة، وتقليد مشية الحمامة؛ فإذا به – في المآل – يَفقد مشيته الأصلية، ويخفق في إتقان مشية المقلَّد! وهذا يجرّنا جَرّاً إلى الحديث عن أثر التيار التغريبي في أنظمتنا التربوية والتعليمية، الذي يعود، في الواقع، إلى زمن ليس بالقريب، إلا أنه لم ينقطع، مُنذئذٍ، بل ظل مستمرّا بوتيرة أقوى، وبصور أكثر تنوعا وتأثيرا!

2 - تغريب التعليم في العالم الإسلامي والبداية من مصر :

قدْ نستطيع إرجاع بدايات تأثير تيار التغريب في التعليم العربي والإسلامي إلى مطلع القرن التاسع عشر في مصر، حين عمَدَ محمد علي باشا إلى تدشين سلسلة من الإصلاحات في أفق بناء مصرَ حديثة وقوية، في شتى الميادين، بما فيها – طبعاً – التعليم، بل إنه كان القطاع الذي حظي بالأولوية في مخطّطه الإصلاحي الشامل؛ لانبناء الإصلاحات الأخرى عليه حتماً. فقد ارتأى أن التعليم السائد، إبّانئذ، في الأزهر، وفي غيره من المعاهد والمؤسّسات، متخلِّفٌ، وغيرُ قادر على الرقيّ بالمجتمع والدولة، في ظل التحديات الكثيرة التي كانت تُجابهها داخليا وخارجيا. لذا، اقتنع بضرورة الأخذ بأسباب تطويره وتحديثه ليكون أقدرَ على إعطاء مُخْرَجات ذات فاعلية وتنافسية، وتيقن من أن ذلك لن يحصل إلا بالاستفادة من التجارب التعليمية الرائدة في العالم عصرئذ؛ فقرّر إرسال بعْثات طلّابية إلى الغرب – فرنسا في المحلّ الأوّل –، بلغ عدد أفرادها – طَوالَ فترة حُكمه – حوالي 320 طالباً، صُرف عليهم، من مالية الدولة، أزيد من 220 ألف جنيه مصري. وقد اطّلع هؤلاء على نمط حياة الغرب، ومظاهر حداثته وتقدمه، ولمسوا الأثر الحاسم لنظامه التعليمي في تحقيق هذه المُنجَزات التي أبْهرتهم، وتركت فيهم آثاراً غائرة ظلت تفعل فعلها فيهم حتى بعد عودتهم إلى بلدهم.

وبالطبع، فبمجرد هذه العودة تلقّفتْهُم دولة محمد علي، آملةً في الإفادة من الخبْرات والمكتَسَبات التي حصّلوها خلال تتلمُذهم للغربيّين؛ فبادرت بتوظيفهم في مختلف القطاعات التي كان يُراهَن عليها لتطوير مصر والنهوض بها، وفي طليعتها التعليم، بعدما أنشأت عدداً من المدارس المدنية الحديثة، والمعاهد العليا المتخصصة في الطب والهندسة والبيطرة والزراعة والصناعة والحرب والفنون والألْسُن. وكانت هذه البوّابةَ التي تسلّل منها التيار التغريبي إلى التعليم المصري؛ لأن أولئك الطلاب العائدين مارسوا مهامّهم الجديدة تحت تأثير التعليم الذي تلقوه في الديار الغربية، وتراجَع – بالمقابل – التعليم الأزهريّ، الذي فُرض عليه التفرغ – تعسُّفا وظلما – لتلقين ما له صلة بالدين والشريعة! طبعا، الدين كما أراده المتنفِّذون في الدولة. وهُدِّد كل عالم أو متعلم أزهري ثبتت مخالفته للتوجهات الرسمية بالطرد من هذه المؤسسة العريقة.

وأستحضر هنا الخطاب الشهير الذي وجّهه الخدّيوي عباس إلى علماء الأزهر، راسماً الرقعة المسموح لهم بالتحرك فيها، والأدوار المُوكَلة إليهم، داعيا إياهم إلى الابتعاد عن كل مسبِّبات الفوضى والشغب؛ إذ جاء فيه قوله: «أول شيء أطلبه أنا وحكومتي أن يكون الهدوء سائدا في الأزهر، والشغب بعيداً عنه، فلا يشتغل علماؤه وطلبته إلا بتلقي العلوم الدينية النافعة البعيدة عن زيغ العقائد وشغب الأفكار؛ لأنه مدرسة دينية قبل كل شيء... إن كل ما يهمّ الحكومة من الأزهر اسْتتْباب الأمن فيه... وأطلب منكم أن تكونوا دائماً بعيدين عن الشغب، وأن تحثوا إخوانكم العلماء، وكذلك الطلبة، على ذلك».

بعد هذه الخطوة التي عُدّت – لدى كثيرين – بداية الهجمة التغريبية على النظام التعليمي في العالم العربي، ستَتَوالَى مساعي الغرب الإمبريالي لتخريب الهُوية الإسلامية، وإخضاع البلاد العربية واستغلالها واستنزاف خيراتها، مسنوداً – في ذلك – بكوادرَ من هذا البلاد نفسها، مُستلَبة ومنبهرة – إلى أقصى الحدود – بمظاهر الحداثة الغربية البرّاقة الخادعة. ولم يكن الغرب يتوانى في استخدام أي وسيلة تضمن له الوصول إلى مبتغاه، بما في ذلك الإغراءات والمساعدات والضغوط.

وظل التعليم أحد أبرز المجالات التي انصبّ عليه اهتمامُ الهجمة التغريبية؛ فسَعَتْ إلى إضعافه، وإبعاده عن هويته العربية والإسلامية؛ بالتضييق على تدريس العلوم الشرعية واللغة العربية في مؤسساته، والنظر باستخفاف إلى مُخْرَجاته، ووصْفها بالتخلف والقصور عن مواكبة التطورات المستجدّة، والعجز عن التأثير الحقيقي في المحيطين الداخلي والخارجي...

والواقع أن القوى الإمبريالية الغربية لم تنقل معركتها إلى ساحة التعليم إلا بعد تأكُّدها من محدودية الخيار العسكري، ومن عدم نجاعة استخدام القوة، في إخضاع الآخَرين، وضمان تبعيتهم؛ لأن هذه القوة (العنف) حتى وإنْ نجحت في إخضاع الأبدان قسْراً، إلا أنها لا تقدر على مِثل ذلك حين يتعلق الأمر بالعقول والأذهان. وقد بدا للقوى الإمبريالية أن الرهان على تغريب التعليم وعَلْمنته وفصله عن هويته وأصالته الراسخة وَحْده القَمين بالسيطرة على الفكر والعقل. وهو وحده الذي يضمن استمرارية تبعية المُستعْمَر للمُستعْمِر بعد جلاء هذا الأخير ورحيله عسكريا وماديا. ولذا، نرى أن الاحتلال – بمفهومه التقليدي – قد صُفّي بعد منتصف القرن الماضي، ولكنّ مؤشرات وتجليات كثيرة توحي باستمرار تأثيره في المجتمعات المتخلفة بصور مقنّعة و«مُتَفَنَّن فيها». ومن هنا، يؤكد دارسون كُثْرٌ أن استعمار الغرب للعالم العربي لم يتوقف منذ أنْ حصل، وأنه إنْ كان خرج من الباب فقد دخل من النافذة؛ كما يُقال!.. هو – إذاً – استعمار غير مباشر .. استعمار ثقافي وفكري قاس، يسْتتبع – بالضرورة – الموالاة له في باقي المجالات!

3 - بعض مظاهر تغريب التعليم في الوطن العربي :

إن تغريب التعليم في الوطن العربي يتجلى في عدة مظاهر، ويَمَسّ عدة جوانب؛ بدءاً بالهندسة البيداغوجية وهيكلة مسار التعليم وأطواره، مروراً بالمناهج والبرامج والمحتويات وطرائق التدريس ومقارباته الديدكتيكية، وانتهاءً بصيغ التقويم والإشهاد، دون إغفال أمورٍ أخرى ذات صلة؛ كالزِّيّ مثلا، لأنّا نجد، أحياناً، مؤسسات تعليمية في العالم العربي تفرض لباساً بعينه على التلاميذ والطلاب يُحيلنا على نسق ثقافي غير عربي ولا إسلامي. وتحضرني، ها هنا، التجربة التونسية في منع ارتداء الحجاب داخل المدارس والجامعات والمعاهد على عهد الرئيس المخلوع زيد العابدين بن علي، وقد بدأت هذه الحملة سنة 1981، استناداً إلى نص قانوني، صدر في عهد الحبيب بورقيبة، عَدَّ الحجاب «زيا طائفيا»؛ وعليه، يحظر ارتداؤه في المؤسسات التعليمية، رغم معارضة شريحة عريضة من الشعب التونسي لهذا القرار اللاديمقراطي ! وتجد أدلة أخرى كثيرة على هذا التغلغل الأجنبي في المنظومة التعليمية في بلدان عربية عدة، مشرقا ومغربا؛ مما يؤكد استحكام التغريب، ونجاحه في تثبيت أقدامه، ونفث سمومه في تعليمنا؛ الأمرُ الذي عمّق أزمته، وأفقده استقلاليته، وإنْ تظاهَرَ الغرب بأنّ ما يقوم به من مبادرات تُجاه هذا التعليم إنما هو بدافع تحديثه وتطويره وتجويده والارتقاء به ليكون قادراً على الاندماج في السياق العولمي، ومسايرة المستجدّات المُلحّة.

وقد وجد هذا التيار التغريبي مناصرين يُطبِّلون له، من أبناء جلْدتنا، ويُعدّدون «حسناته» وأفضاله المزعومة على التعليم العربي عموماً، وكذا الامتيازات التي يُتيحها، بما فيها ضمان الوصول إلى مراتب عليا في الوظيفة والمجتمع... إلا أنه لقي معارضة كثير من المثقفين، فضلا عن عامة الشعب؛ بالنظر إلى خطورته البالغة على هويتنا الحضارية، ومقوّمات أصالتنا. ويشدّد هؤلاء على ضرورة انطلاق مشاريع الإصلاح التعليمي، في العالم العربي، من الذات، مُراعيةً خصوصياتنا وحاجياتنا وقِيمَنا، بعيداً عن أي إسقاطات خارجية أو ضغوطات لفرْض نماذج تعليمية أجنبية (فرنسية – إنجليزية...) داخل بلداننا. و«فرْق بين أن تمارس هذه البلدان نقدا ذاتيا تحاول من خلاله إعادة النظر في منظومة التربية والتعليم بالاستناد إلى منظومة القيم التي تؤمن بها، وبين أن تكون تحت ضغوط سياسية واقتصادية تدفعها إلى إعادة النظر في منظومة القيم ذاتها، وتحاول أن تقنع نفسَها ومحيطها بضرورة إعادة صياغة سؤال القيم، فتقول: ما هي القيم التي ينبغي أن تحكم نظامنا التربوي؟ ومن ثَمَّ ما هي القيم التي ينبغي أن تحكم المجتمع؟» (د. خالد الصمدي).

تلكُم – إذاً – نظرات حول قضية التغريب في أنظمتنا التعليمية، التي برزت في العقود الماضية، وتَخذَت صوراً عدة أكثر تأثيرا من ذي قبلُ، وتوخّت – في جوهرها – عَلْمَنة تلك الأنظمة، وإفراغ محتواها، والتشكيك في قدراتها الذاتية على العطاء والإنتاج، وإبعادها عن هويتها... متوسِّلة بمختلف الوسائل، مع جُنوح أوْضَحَ إلى تلك التي تبْعُد عن التصريح بالنيّات الحقيقية، وعن استخدام خيارات الضغط المباشر بالقوة أو غيرها. ولا يكاد هذا التيار التخريبيُّ يفوّت فرصة سانحة دون الحديث عن مزايا أنموذجه التعليمي، التي تؤهّله – حسب زعْمه – لأنْ يكون مصدر استلهام بالنسبة إلى الأنظمة التعليمية في البلدان الأخرى غير المتقدمة.

هل تصلح أمة بدون إصلاح تعليمها؟

د. محمد محترم

- العلم أساس البناء الحضاري للأمة :

لقد عني الإسلام بالعلم عناية كبيرة، فجعله أولى الأولويات في بنائه الحضاري، لما له من أهمية قصوى في قضية استخلاف الإنسان على هذه الأرض، وقيامه بحق العبودية لخالقه الذي أوجده لهذه الغاية بعينها، والتي حددها له سبحانه في أعظم كتاب أرسله إليه وهو القرآن الكريم، مع أعظم رسول مبعوث وهو محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم قائلا: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (1).

وهذه الغاية السامية المتمثلة في عبودية الإنسان لبارئه، والتي ما وجد إلا لأجلها، لا يمكن أن تقام على الجهل، بل لا بد لها من أساس مكين هو العلم، لذلك اقترنت قضية العبودية في التصور الإسلامي الصحيح بقضية العلم اقتران الغاية بوسيلتها التي لا فكاك لها عنها، تدور معها وجودا وعدما كما يدور الحكم مع علته وجودا وعدما. فلا نكاد نبالغ إذا قلنا إن الإسلام ما اهتم بشيء اهتمامه بالعلم، كيف لا ! وقد جعل التعلم فريضة شرعية على كل مسلم ذكر أو أنثى، وحث على طلبه من المهد إلى اللحد، وجعل الانشغال به من أرقى أنواع العبادات، وقيمة مداد العالم مع أنه هو أرخص ما عنده أعظم عند الله في ميزان الأجور يوم القيامة من دم الشهيد، وهو أغلى ما يملكه الشهيد، وقرن خيرية الفرد بمدى التعليم أو التعلم ونفاها عما سوى ذلك، بل إن خيرية الأمة كلها لا تتحقق إلا بمدى حرصها واهتمامها بالعلم تعليما وتعلما، فما اختارها الله إلا لتكون أمة العلم، ورسولها المصطفى ﷺ لم ينتدب لشيء آخر سوى أن يكون معلما، كما صرح بذلك نفسه ﷺ فيما جاءت به الآثار، وكان من الأنسب لذلك أن تكون معجزته ﷺ كتاب علم ولا شيء أفضل من ذلك، والأليق أيضا أن تكون أول كلمة خوطب بها هو وأمته في هذا الكتاب هي فعل «اقرأ» صيغة أمر بالقراءة، والأمر يفيد الوجوب كما يقول علماء الأصول. هذه القراءة التي ينبغي أن تنطلق باسم الرب الخالق، الذي خلق الإنسان من علق، باسم الرب الأكرم الذي امتن على الإنسان بأفضل نعمة بعد الإيجاد وهي نعمة العلم، فعلمه البيان وعلمه بالقلم ما لم يعلم. وليس من الغريب أيضا على هذه المعجزة / الكتاب أن تسمي سورة بكاملها فيه باسم «سورة القلم» بل ويقسم الله جل جلاله وعم نواله في بداية هذه السورة نفسها بالقلم وما يسطرون. وهو سبحانه حين يقسم بشيء من مخلوقاته فليلفت انتباه الناس إلى أهمية المقسم به. كما يقول علماء التفسير. ولا شك في هذا، فالقلم رمز العلم ووسيلته. والوسيلة في أصولنا تعطى حكم غايتها، وهل بدون العلم يمكن أن تقوم لحضارة قائمة؟! وهل الأمم التي تركت بصماتها في التاريخ هي غير تلك التي جعلت العلم عماد حضارتها، وارتكزت عليه مقومات وجودها وامتدادِ حياتها، وكان سرَّ قوتها وتقدمها؟! وهل كان تكريم الإنسان، صانع الحضارة، ورفع مكانته على سائر المخلوقات، وأمر الملائكة بالسجود له تعظيما وإجلالا، واستحقاقه شرف الخلافة في الأرض، هل كان كل ذلك بشيء آخر غير العلم؟!.

فلما كان للعلم هذه المكانة السامية والأهمية القصوى من المنظور الإسلامي انشغل أبناء أمتنا بالعلم والتعلم منذ الانطلاقة الأولى للإسلام، وانكبوا على دراسته وتحصيله أفرادا وجماعات، متسابقين للفوز بالدرجات العلا التي أعدها الله للعلماء في قوله تعالى : ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ (2)، وقوله:﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ (3)، وغير ذلك من الآيات الإلهية والأحاديث النبوية التي تَعِد وتبشر العلماء والمتعلمين بالأجور العاليةِ والمنازل السامية والرفعة في الدنيا والآخرة. فأثمر ذلك نهضة علمية مع صحوة إيمانية ما أنجب التاريخ قبلها ولا بعدها مثلها. حيث امتزج فيها الإيمان بالعلم، وتجددت صلة السماء بالأرض تجددا لم يسبق له مثيل، فنزل غيث الوحي بالهدى والعلم على قلوب ظمأى، سرعان ما تشربته فأحياها الله به كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر. فأثمرت بإذن الله ما انتفعت به البشرية جمعاء، لا الأمة الإسلامية وحدها، وكان خيرا وبركة ورحمة للعالمين.

- تخلف الأمة ومحاولات فاشلة في الاصلاح:

ثم أتى مع الأسف الشديد على هذه الأمة حين من الدهر تراجعت فيه إلى الوراء، وتسلم فيها زمام الأمور من لا يحسن قيادتها من عبدة الدرهم والدينار والقطيفة، ممن لا هم لهم إلا تلبية شهوات البطون والفروج، والتكالب على الكراسي والعروش، واسترخاص دماء القريب والبعيد في سبيل ذلك. فركنت الأمة بكاملها إلى الدنيا، وأخلدت إلى الأرض، وخارت العزائم، وضعفت الهمم، وعادت الجاهلية بكل ما تحمله من دلالات التخلف والانحطاط، وبمختلف صورها وأشكالها، لتستحكم في كل شؤون حياتها. بل وأصيبت بالقابلية للاستعمار حسب تعبير المفكر مالك بن نبي رحمه الله، فاستعمرت من قبل شهواتها وأهوائها وجهلها قبل أن تغري غيرها وتسيل لعابه وتفتح شهيته لينقض عليها انقضاض الوحش على فريسته، وتداعت عليها الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، لا يرقبون فيها إلا ولا ذمة، ينهبون خيراتها، ويقتسمون ثرواتها، ويتحكمون في دواليب حياتها، ويسيرونها ويسيرون بها كيف شاءوا وحيث شاءوا. بل إنهم ما تركوا وسيلة أو أسلوبا يمكن القضاء به على كل مواطن القوة فيها، والإجهاز على كل عرق لا يزال ينبض فيها بالحياة، إلا لجأوا إليه. هذا حال الأمة منذ زمان، ولا يزال وضعها يزداد ترديا وسوءا، وليلها يزداد ظلمة وحلكة إلى يومنا البئيس هذا.

وفي كل لحظة كانت تتعالى أصوات بعض الغيورين على مستقبل الأمة بالمناداة بإصلاح الأوضاع، وعلاج الجسد من الأوجاع، قبل استفحال الداء، واتساع الخرق على الراقع، وقبل فوات الأوان. فكانت هنا وهناك بعض المحاولات لتجاوز الأزمة، لكنها محاولات باءت بالفشل. لأنها لم تضع الأصبع بعد على موطن الداء، وانشغلت بإصلاح القشور عوض الجوهر، وبأعراض المرض بدل جذوره. فما تبدل الحال وما تغير، وبقيت دار لقمان على حالها، بل ازداد حالنا بؤسا. وظن بعض أبناء الأمة ممن تأثروا بثقافة الغرب وحضارته أن المخرج الذي لا مخرج سواه يكمن في الانسلاخ كليا عن هويتنا وشطب خصوصيتنا الثقافية والحضارية، ونصبح ذيلا من أذيال الغرب، ونسي هؤلاء أو تناسوا ما قاله سابقا عقلاء هذه الأمة عن خبرة ووعي: «إنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها».

- إصلاح الأمة بإصلاح تعليمها:

إن صلاح أول الأمة كان بالعلم مقرونا بالإيمان، وصلاح آخرها لن يكون إلا بذلك. فلا بد من نهضة علمية جديدة مقترنة بصحوة إيمانية كما حدث في البداية. وهذا هو الأساس المتين لنهوض الأمة من جديد، وهو السبيل الأوحد لاستئناف رسالتها الحضارية مرة أخرى. ولعل أقصر طريق وأضمنه، لتحقيق هذه الغاية في النهضة والنهوض، والكفيل بإحداث التغيير المنشود، هو الإصلاح الجاد والحقيقي للتعليم بكل مستوياته وتخصصاته، وإعادة بناء النظم التعليمية عندنا بما يكفل أصالتها، ويكفل قدرتها في نفس الوقت على الاستجابة لمتطلبات العصر واستيعاب مستجدات الحياة، وغير ذلك، مزيد من التيه، ونشدان للسراب مع اشتداد الظمإ، وتكريس لعوامل التخلف والانحطاط. وهذا ما يرجوه ويعمل لأجله ليل نهار أعداء الأمة وأعداء هويتها وعقيدتها.

يقول عمر عبيد حسنة: «إن أي مشروع للنهوض والبناء والتنمية ومعالجة الخلل، والتجاوز، ومحاولة التغيير والإقلاع من جديد، يتم بعيدا عن الارتقاء بنظام التعليم واستمرار مراجعته وتقويمه ودراسة جدواه، واختبار مدخلاته ومخرجاته هو من قبيل المجازفات السياسية والضلال الاجتماعي والعمى الفكري، ولون من الضرب على الحديد البارد، وابتعاد عن الموقع الفاعل، وتعامل مع عالم الأشياء على حساب عالم الأفكار التي هي الإنسان، الأمر الذي يجعلنا نخسر الإنسان والأشياء معا» (4).

- ضرورة التحرر من المناهج الغربية:

ولعل أول خطوة على الطريق، وأهم ما ينبغي البدء به في مجال إعادة بناء التعليم وإصلاحه هي التحرر من هيمنة المناهج الغربية والتغريبية على نظمنا التعليمية والتربوية، في مؤسساتنا وجامعاتنا ومعاهدنا، سواء على مستوى الهيكلة والبرامج والمقررات، أو على مستوى المفاهيم والمصطلحات التي اعتدنا استهلاكها بمضامينها المشوهة كمفهوم العلم، كما نستهلك باقي السلع والأشياء المستوردة دون تمحيص ولا تمييز بين الصالح منها والطالح، بين الصحيح والمعلول، بين الضار والنافع، بين ما يناسب وما لا يناسب. لا لشيء ذي بال إلا لأنها صادرة عن الغرب المهيمن والأقوى ماديا وتكنولوجيا، ومن إملاءاته وقراراته التي على الشعوب المقهورة، وأنظمتها المستعبدة، تقديسها وتنفيذها حرفيا بكل خضوع وخنوع وإجلال، ودون تفكير، مجرد تفكير، في الخروج عنها قيد أنملة، وإلا فالويل ثم الويل لكل من سولت له نفسه خلاف ذلك.

نسأل الله أن يردنا إليه ردا جميلا، وأن يعزنا بطاعته، وأن لا يذلنا بمعصيته، وأن يرزقنا الإخلاص له وحده، لا لغيره، في القول والعمل، فهو حسبنا ونعم الوكيل. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

---

(1)- سورة الذاريات، الآية : 56.
(2)- سورة المجادلة، الآية : 11.
(3)- سورة الزمر، الآية : 10.
(4)- انظر تقديم كتاب الأمة «النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى د. المكي اقلاينة العدد 34 رجب 1413، ص : 10-11.

من عناصر إنجاح المسؤولية التربوية والتعليمية

د. عبد اللطيف احميد

العلم وسيلة لبلوغ كل هدف، ووسيلة أساسية لنشر كل خير ودفع كل شر، ووسيلة أيضا لتحقيق مصالح الدنيا والآخرة، إنه فريضة شرعية وضرورة واقعية، يقول سيدنا محمد سيد العالمين والمربين ﷺ: «من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم، ومن أرادهما معا فعليه بالعلم»، لقد قام صرح الإسلام على العلم، وعند بدء تنزله دعا كل مؤمن وكل إنسان إلى أن يتعلم. وإن أعظم منة من الله على رسوله ﷺ أن أكرمه بالعلم الموحى به إليه، وأن تولى تعليمه بواسطة أمير ملائكته جبريل عليه السلام. يقول الله تعالى مقررا هذه الحقيقة في كتابه الكريم: ﴿وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾ (النساء:113).

بعد بيان أهمية العلم ودوره وضرورته في الحياة، في هذه العجالة، يحسن بعد ذلك أن نتحدث عن مجموعة من العناصر والأسباب، التي تساعد المعلم والمربي والمدرس على تفوقه ونجاحه في القيام بواجبه التربوي والتعليمي، وفي أداء رسالته، ليستطيع تحقيق الأهداف والغايات المرجوة. خاصة ونحن ما زلنا في بداية السنة الدراسية الجديدة، التي نسأل الله تعالى أن تكلل بالنجاح والتوفيق. فنقول متسائلين: ما هي العناصر والأسباب الذاتية والموضوعية التي ينبغي توفرها لإنجاح المسؤولية التربوية وتحقيق أهدافها النبيلة؟

إن المهمة التربوية التي يكتب لها النجاح وتحقق أهدافها وغاياتها، تحتاج في نظري وفي حدود فهمي، أولا وقبل كل شيء إلى وعي جميع مكونات المجتمع بالمسؤولية والواجب، كما تحتاج إلى أن تقوم على ستة عناصر:

أولها: عنصر الأولياء:

سواء كانوا آباء أو أمهات أو هما معا، فالمهمة التربوية تبدأ أولا من المدرسة الأولى التي هي الأسرة، قبل أن يلج الأبناء المدارس بصفتهم التلمذية. فمن الأسرة يتعلم الأبناء ويتلقنون مجموعة من القيم والمبادئ عن طريق القدوة الحسنة والتوجيه الرشيد والتعهد والمراقبة المستمرة، فمن الأسرة تبدأ عملية البناء وتظهر معالمها إما في جهة الإيجاب وإما في جهة السلب، وذلك انطلاقا من طبيعة ونوع البيئة التي تربى فيها الأبناء، وطبيعة الآباء الذين قاموا بهذا الدور، وصدق رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ...الحديث». فعلى الأولياء أن يدركوا إدراكا جيدا واجب الرعاية وجسامة المسؤولية الملقاة على عاتقهم تجاه أبنائهم وكل من هم تحت عهدتهم، وأن يعلموا جيدا أن شأن التربية والتعليم كشأن كل غال ونفيس، بل إنهما أغلى شيء، بل إنهما أولى الأولويات وأجل الأمنيات التي يجب أن يعطى لها الوقت الكافي والجهد البدني والعقلي والتربوي الكافي، والإنفاق المالي الكافي. وانطلاقا من هذا نقول ودون أدنى تحفظ: إن رجاء تحقيق التربية والتعليم الراشدين لا ينال بعدم القيام بالواجب أو ببعضه فقط، ولا بميسور الجهد البدني والعقلي الأدنى ولا بسوف ولو أني، أو بالإنفاق المالي الضعيف أو المحدود، وإنما باستفراغ الوسع في ذلك كله إلى حده الأقصى، و:

من أراد العلا عفوا بلا تعب
قضى ولم يقض من إدراكها وطرا.

فالمطلوب من الأولياء القيام بواجبهم التربوي الأسري قبل إلقاء اللوم على غيرهم إذا هم فرطوا في ذلك، وأن يسهروا ويتابعوا ويراقبوا أبناءهم، قبل مراقبة غيرهم لهم. لأنه مما يلاحظ في واقع الحياة أن كثيرا من الأولياء يهملون واجباتهم اتجاه أبنائهم خلال الفترة الأولى قبل دخولهم إلى المدارس، وبعد الدخول يستمرون على نفس الحال، ويظنون أن إرسال أبنائهم إلى المدارس والمؤسسات هو كل واجبهم في هذا الشأن، فيتركونهم وشأنهم، مقبلين على حياتهم الخاصة يغتنمونها إما في التجارة أو في المهن الحرة أو التعليمية أو الإدارية، وإما في الجلوس أمام الفضائيات أو في المقاهي أو في التجمعات الخاوية الوفاض، وغيرها لتمضية الوقت وملء الفراغ دون فائدة ترجى. وإن هذا ليعد تقصيرا فظيعا وتصورا خاطئا لكيفية إدارة الوقت، لا يشعر من كانت هذه حالهم حينها بمرارة وسوء نتائجه وعواقبه الوخيمة إلا عند حصاد نتائج أبنائه السيئة تربويا وأخلاقيا ودراسيا نهاية كل سنة دراسية، والأدهى والأمر أنهم ساعتها يصبون جام غضبهم وسوء ندمهم على أبنائهم الذين لا ذنب لهم بالتقريع والعتاب الشديد وتصغير شأنهم أمام أقرانهم المتفوقين، مع العلم أنهم ضحايا التقصير والتفريط من قبل الآباء والأولياء في القيام بمسؤولياتهم وأداء واجبهم اتجاه أبنائهم. وعلى من كان هذا حاله التوبة النصوح، واغتنام وقته فيما ينفعه ويفيد أمته ومجتمعه. إن الأب والولي الصالح هو الذي يعي جيدا مسؤوليته كاملة غير منقوصة اتجاه أولاده فيترجمها في واقع الحياة بالقدوة الصالحة وبالتعهد والرعاية والمتابعة والمراقبة والتوجيه الرشيد، والموفق من وفقه الله .

ثانيها: عنصر الأساتذة والمربين:

وأما العنصر الثاني في نجاح العملية التربوية فهو المعلم الأستاذ المربي، لأنه يعد بمثابة الأب الثاني للأبناء والتلاميذ، وبواسطته تكتمل بداية التربية الأسرية وتستمر نحو صياغة نموذج بشري مسلم ذي خلق كريم وثقافة بانية وأهداف نبيلة ليصبح رجل الغد، وعلى المربي بكل مستوياته العلمية والعمرية أن يكون على وعي تام بجسامة مهمته التربوية والتعليمية، وبما كرمه الله وشرفه به من فضل العلم والمعرفة على من دونه من الناس، إذ العلم محض كرم وفضل ميز الله بها العالم والمربي وخصه بها، والعلم يعد إرث الأنبياء وتركة المرسلين قال سيدنا رسول الله ﷺ: « إن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر» (رواه ابن ماجة :223). ولا يكون العالم والمربي أهلا لهذا التكريم الإلهي وهذه الحظوة الربانية، إلا إذا وفى بمقتضات ما يحمله من علم وأدب وخلق. ومن مقتضيات علمه وأدبه وخلقه الأساسية أمران، أولهما: القيام بمسؤوليته بصدق وإخلاص دون تقصير أو طمع دنيوي. وثانيهما: الإبلاغ الواضح وفق منهج رصين وعدم كتمان ما علمه الله اتجاه تلاميذه وأبنائه. والأستاذ أو المربي الذي يقصر في أداء رسالته والقيام بمهمته ووظيفته، ولا يؤدي واجبه كما يجب، إلا عند القيام بإعطاء ساعات إضافية مثلا، لمجموعة من التلاميذ هم جزء ممن هو مسؤول عنهم داخل الفصول الدراسية بمقابل مادي أو عرض من الدنيا قليل، يعتبر غاشا لرعيته من التلاميذ، وآثما عند الله تعالى، وعليه أن يراقب الله تعالى في سائر أمره وكافة شؤونه، ويتوب لله توبة نصوحا ويقوم بتبليغ رسالته على أحسن وجه. جاء في الخبر أن رسول الله ﷺ قال: «من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار». وإذا كان مجرد السؤال عن مسألة علمية تم كتمان الجواب عنها يستوجب عذاب النار، فكيف الشأن إذا كانت مهمة ومسؤولية العالم أو الأستاذ والمربي هي التربية والتعليم؟؟. وكيف يكون حال من كان هذا ديدنه، ولم يف بعهده ووعده وقد أقسم بالأيمان المغلظة يوم تكليفه وتعيينه موظفا لدى الدولة، وقد أخذ الله الميثاق على العلماء أن ينشروا ما علموا بين الناس، وأن يجيبوا من سألهم، قال الله تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه، فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبيس ما يشترون﴾ (آل عمران :187).

ثالثها: عنصر التلاميذ والمتعلمين:

فالتلاميذ والمتعلمون أمانة وهدف مشترك بالدرجة الأولى بين الآباء والأولياء والأساتذة والمربين، وبين العناصر الأخرى التي سيأتي الحديث عنها لاحقا. فالتلاميذ هم رجال الغد وثروة المستقبل للبشرية، وصنيعة الغد المشرق. وتحقيق هدف الرجولة بالإضافة إلى ما سبق بيانه رهين كذلك بتحقيق وعي التلاميذ والمتربين بأن عليهم هم أيضا واجبا في حدود مقدرتهم، يبتدئ في إدراكهم اللازم بضرورة وحب القراءة والتعلم، وينتهي بمعرفة وسائل وأسرار التفوق الدراسي، والتي منها بذل المجهود الفردي إلى أقصى الحدود، واغتنام الأوقات وفراغاتها وبرمجتها، مع الصبر والعنت في ذلك كله، وموصول الجد والاجتهاد، ثم التعويل على محض النشاط الذهني والجهد الفردي والجماعي. وإن من جد وجد ومن زرع حصد، ومن لم يعتمد على نفسه بالدرجة الأولى بقي في قسمه، وليس العكس كما يشاع. إذ العلم وتحقيق التفوق فيه لا يتمكن منه بسهولة ويسر، ولكنه يحتاج إلى معاناة ومصابرة وجهد ومجاهدة، مع كبح جماح الشهوات حتى تالف النفس طلب العلم وحبه، والشوق للمزيد منه، حتى يغدو ويصبح متعة، ورغبة أكيدة، ووجبة ملحة يكون داعيها جوع الفكر وحاجة النفس وطمأنينة القلب، ولذا قيل: (إن العلم لا يعطيك جزاه حتى تعطيه كلك). وإن ديننا يحثنا بكل قوة على طلب العلم والتفاني فيه، بغية تحقيق الأهداف التربوية والتعليمية وأكثر، وهو توفيق الله للمتعلم وتسهيله له وشق طريقه نحو جنة الرضوان، روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما، سهل الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض حتى الحيتان في الماء»، (رواه ابن ماجة:223). وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا: وما رياض الجنة؟، قال: «مجالس العلم» (رواه الترمذي 3510. بمعناه).

رابعها: عنصر الطاقم الإداري:

فدور الإدارة لا ينقص أهمية عن الأدوار السابقة ولا يقل عنها أهمية، إنما هنالك أولوية ظاهرة في العلاقة المباشرة بالأبناء والتلاميذ، بحيث إن المدة التي يقضيها الابن أو التلميذ مع أبويه أو مع أساتذته ليست بالهينة خلافا لطبيعة علاقته بالطاقم الإداري التي تبقى علاقة إدارية صرفة ومحدودة. ويتجلى دور الطاقم الإداري ومسؤوليته أكثر في ضبط الأساتذة ومدى قيامهم بواجبهم التربوي وحضورهم، وكذا التلاميذ على حد سواء، ثم ضبط العلاقة بين هؤلاء وبين أولياء التلاميذ في إطار علاقة المؤسسة التربوية والتعليمية التي تجمعهم. كما يتجلى أيضا في الحفاظ على سمعة المؤسسة من حيث معاقبة المشاغبين والضرب على أيديهم بقوة، وتوجيه المنحرفين،... ثم الحفاظ على نظافة المؤسسة بكل مرافقها والقيام بالتجهيزات اللازمة لها من قبل الدولة، بهدف تيسير الأمر على المربين والإداريين للقيام بواجبهم وأداء رسالتهم العلمية في أمن وأمان واستقرار وضبط وانضباط، مع استحضار كل التحفيزات الضرورية المادية والمعنوية. وإن إدارة غير كفؤة لا تستطيع تنظيم شؤونها الخاصة، لا يمكن بالأولى والأحرى، أن تنظم شؤون مؤسسة عامة أو خاصة عن جدارة واستحقاق. ومؤسساتنا التعليمية عموما ما زالت في حاجة إلى إداريين أكفاء، يتم انتقاؤهم حسب الشروط المطلوبة، فيهم ومنها الخبرة والتجربة الكافية مع تقديم مشروع يتضمن تصورا ورؤيا في كيفية التسيير الإداري بكل تجلياته ومستلزماته وهكذا. ولا ينبغي أن يفهم من كلامي هذا أن مؤسساتنا التعليمية لا تتوفر على رجال أقوياء أمناء ذوي أهلية وخبرة ودراية، بل هم والحمد لله موجودون لكن ينبغي المزيد من الشفافية في الاختيار والانتقاء، مع القطيعة مع أساليب الزبونية والحزبية والمحسوبية والارتشاء وغيرها من الأساليب المخالفة للشرع والقانون، والتي لا يرضى بها حتى الحمقى من الناس فأحرى عقلاؤهم.

خامسها: العنصر الإعلامي:

فلا أحد اليوم من الناس يجهل دور الإعلام بكل تلاوينه في التأثير والتوجيه نحو الإيجاب أو السلب في المجتمع بكل فئاته العمرية، وخاصة الأطفال والشباب الذين لم يشتد عضد شخصياتهم بعد، ولم يتم بناء وعيهم بخطورة ودور الوسائل الإعلامية بعد وما فيها من منافع ومضار. وإذا كانت لدينا العزيمة والإرادة القوية والنية الصادقة في بناء جيل مسلم مؤمن صالح لأهله وجيرانه ومربيه ومجتمعه ووطنه وأمته، فينبغي أن يكون دور وسائل الإعلام بكل وسائله المكتوبة والمسموعة والمرئية والإلكترونية دورا متناغما ومتجاوبا ومكملا لدور المؤسسات التربوية والتعليمية، وأن يصب في تحقيق الهدف المنشود من عملها، ويسهم من خلال ما يبثه من برامج وموضوعات وقضايا، في تخريج جيل متعلم مترب قوي رشيد، يكون ذخرا لأسرته أولا، وللبلاد والعباد ثانيا، قادرا على حمل الراية واستلام الأمانة، غيورا على دينه وأمته ووطنه. وذلك حتى لا يبقى دور التربية في اتجاه ودور الإعلام في اتجاه معاكس. وحتى يكون دوره دورا بناء لا دور هدم وتدمير للقيم والأخلاق والأفكار والمبادئ. كما هو شأن بعض وسائل الإعلام داخل بلادنا، وأخرى خارجها.

سادسها : عنصر البرمجة التربوية المناسبة وتحديد الأهداف المطلوبة:

وفي الأخير فإن صلاح تعليمنا وتربيتنا رهين بصلاح برامجنا التعليمية والتربوية هدفا ومنهاجا. ومن ثم فلا كمال ولا تمام لما ذكر في العناصر السابقة إلا بتحديد أهداف واضحة ووسائل إجرائية لتحقيقها، تتجلى من بين ما تتجلى فيه في مقررات تربوية مناسبة وبرامج علمية منسجمة مع مستوى الأهداف ومستوى الفئات العمرية، تكون منطبقة في أساسها ومرتكزاتها مع أسس ديننا ومبادئ عقيدتنا الراسخة، وتاريخنا المجيد وحضارتنا العريقة. وأي إصلاح واستشراف مستقبلي لتعليمنا ولمنظومتنا التربوية لا يراعي ما سبق بيانه، مع استشارة مستفيضة للنخبة المباشرة والملامسة لمشاكل واقعنا التربوي والتعليمي من الأساتذة والمربين والمفتشين، بل التلاميذ أنفسهم، فإنه سيولد معاقا، عينه عوراء ورجله عرجاء، ولسانه أخرس، وفكره أعوج، هذا فضلا عن أن يحقق هدفا أو تسند له مهمة أو مسؤولية.

الأبعاد التربوية لوصية أبي الوليد الباجي لولديه

ذ . صهيب مصباح

ارتبطت حياة علماء الأمة ببلاغ الرسالة التي ورثوها عن الأنبياء، رسالة تحمل في سطورها كل المعاني النبيلة التي أرشد إليها الدين الإسلامي الحنيف، ولذلك كانت دائرة اشتغال العلماء واسعة النطاق متكاملة الآفاق، والمتتبع لسير علمائنا يلحظ جليا تركيز عنايتهم برسالة التربية على الآداب الرفيعة والأخلاق الحميدة، موازاة لاهتمامهم بدروس العلم أخذا وأداء، وهو ما يفيد ضرورة المزاوجة بين رسالتي التربية والتعليم في عملية البلاغ بشكل عام، وقد تجلى هذا المنهج على كتابات أبي الوليد الباجي وأبي حامد الغزالي وغيرهما من أعلام الأمة، ومن خلال هذا المقال سنحاول الوقوف على أهم الأبعاد التربوية التي تميزت بها رسالة أبي الوليد لولديه.

- على عتبات هذه الرسالة :

فما إن وقع بصري على هذه الخريدة، حتى أسرعت أتضارب وصفحات المصادر، إلى أن وقفت على ترجمان الفقه والأصول، ترجمان المعقول والمنقول، الإمام العلامة الحافظ ذي الفنون، القاضي أبي الوليد سليمان بن خلف، بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي، الأندلسي، القرطبي الباجي، صاحب التصانيف، البطليوسي الأصل، تحول جده إلى باجة، فنسب إليها، ولد سنة ثلاث وأربعمائة، وتضلع في مختلف العلوم والفنون على كثير من المشايخ، فحج، ثم ارتحل إلى دمشق في إطار بحثه على المعرفة والسماع، ومنها إلى بغداد، فلقي من علمائها الكثير، وأخذ من العلم ما يشفي الغليل، ثم رجع إلى الأندلس بعد ثلاث عشرة سنة بعلم غزير.(1)

وإبرازا لمكانة هذا العلم العالم، الذي ملأ الدنيا فقها واستنباطا، وشغل الناس بتواليفه، نورد ما قاله الإمام القاضي عياض اليحصبي في معرض الحديث عن مكانته العلمية، قال:«كان أبو الوليد رحمه الله تعالى فقيها نضارا محققا راوية، محدثا يفهم صنعة الحديث ورجاله، متكلما أصوليا، فصيحا شاعرا مطبوعا حسن التأليف، معين المعارف، له في هذه الأنواع تصانيف مشهورة جليلة، ولكن أبلغ ما كان فيها في الفقه وإتقانه على طريقة النضار من البغداديين وحذاق القرويين». (2) وكما كان عارفا بالعلوم، فقد كان ذا ذوق كبير في مجالات التربية والسلوك، وكتابه «النصيحة» (3) أكبر دليل على شخصية الرجل التربوية، وقد رمينا من خلال هذا المقال تسليط الضوء على هذه «النصيحة» من أجل أن نستشف أبعادها التربوية الكفيلة بضبط سلوكيات الفرد في المجتمع.

- رسالية رسالة أبي الوليد الباجي لولديه :

النصيحة اسم على مسمى، رسالة تحمل في طياتها وظيفة تربوية دعوية قائمة على العلم والتعليم، وإذا أردنا أن نرجع بالعجلة إلى الماضي، فإننا سنجد نظير ما فعل الباجي متمثلا في شخصية اقتبست الوحي من في رسول الله ﷺ ،إنه أبو هريرة رضي الله عنه ، فقد أشار إشارة لطيفة في هذا السياق، وهي مبادرته التربوية الإصلاحية ذات الطابع التعليمي، قام بها شخصيا لتوجيه جيل التابعين، وذلك أنه

مر بسوق المدينة، فوقف عليها فقال: يا أهل السوق ما أعجزكم، قالوا وما ذلك يا أبا هريرة؟ قال: ذلك ميراث رسول الله ﷺ يقسم وأنتم ها هنا ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه، قالوا وأين هو؟ قال في المسجد، فخرجوا سراعا ووقف أبو هريرة رضي الله عنه حتى رجعوا، فقال لهم: ما لكم؟ فقالوا: يا أبا هريرة، قد أتينا المسجد فدخلنا فلم نر فيه شيئا يقسم، فقال لهم أبو هريرة رضي الله عنه : وما رأيتم في المسجد أحدا؟ قالوا بلى رأينا قوما يصلون، وقوما يقرءون القرآن، وقوما يتذاكرون الحلال والحرام، فقال لهم أبو هريرة رضي الله عنه: ويحكم فذاك ميراث محمد ﷺ،(4) ولا يخفى ما تضمنه هذا الحدث من إشارات تربوية متصلة بالمسجد، باعتباره مدرسة التربية على الأخلاق النبوية، ومدرسة تعليم الدين.

إن رسالة أبي الوليد لولديه – أبي القاسم وأبي الحسن –(5)، لهي رسالة تربوية تعنى بتسديد المنهج التعليمي والتعلمي، كما تعنى بالدعوة إلى ربط العلم بالعمل، والروح بالجسد، لتكون جملة من القواعد التربوية يهتدى بها إلى التدرج في مقامات الدين، ومدارج الوصول إلى الحق واليقين.

إنها رسالة سماها صاحبها، «وصية الإمام الحافظ أبي الوليد الباجي لولديه» لتكون نصيحة له لولديه تضمنت إشارات عباداتية ومعاملاتية، تهدي إلى تعبيد الطريق لمن أراد السير في مقامات الهدى المنهاجي، للتوصل إلى منازل العرفان العلمي والروحي، رغبة من أبي الوليد في ترك بصمات التربية السلوكية في شخصية ولديه، ورجاء في استدامة الصدقة، ف «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث»، «...وولد صالح يدعو له» (6) وفي هذا المعنى أقول:

تسابق يا أخي في بنـــاء
بيت كبيت النبي في إخـــاء
إذا مت فــلا ترجـو نصيبا
من ذي، يا صاح إلا من إيصاء
غلام أو علـوم لا سواهـــا
هكذا قال النبي في رجـــاء

- قراءة تربوية في فقرات رسالة أبي الوليد لولديه :

هيا بنا نطرق باب هذه الصفحات، التي إن قل عدُّها فقد كثر حدها، وإن يسر فهمها فقد صعب ضبطها ونهجها، وإذا وعيناها وعيا تنزيليا، فإننا سنجد مضمونها لا يخرج عن كونه يخط منهجا لإصلاح الأرواح، كما يخط منهجا لضبط السلوك مع الشخص نفسه ومع الغير، وبالفعل فإن أول ما صدر به الإمام رسالته هذه قوله: " وتنقسم وصيتي لكما قسمين؛ فقسم فيما يلزم من أمر الشريعة، أبين لكما منه ما يجب معرفته، ويكون فيه تنبيه على ما بعده، وقسم فيما يجب أن تكونا عليه في أمر دنياكما" (7)

أما القسم الأول فقد عرض فيه ضروريات الدين وركائز الإيمان؛ من الإيمان بالله وملائكته، والتمسك بالكتاب، وأداء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا.(8)

فهي عبارات تبرز من خلالها الوصايا التشريعية والعباداتية بالمنطوق، وهذا معقول المعنى، لأن المشرع الحكيم أكد على الوفاء بالمعلوم من الدين بالضرورة، كما جعل سنية التفاوت المقاصدي واجبة الاعتبار في العبادات والمعاملات.

وما إن فرغ المؤلف من الحديث عن ركائز الإيمان، حتى أردف ذلك بالحديث عن العلم والحث في طلبه. والمناسبة بين ذا وذاك جلية وواضحة، فإن الحق جل جلاله لا يعبد عن جهل، ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك﴾ (محمد 19) فحث على الاجتهاد في طلب العلم، وجعله ولاية لا يعزل عنها صاحبها، لأن المعنى لا يسلب من صاحبه إلا بسلب روحه، كما ذكر عقب هذا مفاضلة قيمية بين العلوم، فجعل أصول الفقه بعد الوحيين في المنزلة، وأبدى بمقاربات أولوية بين المعارف الإسلامية، وأردف ذلك بالحديث عن الصفات الحميدة والذميمة التي ينبغي لطالب العرفان أن يتحلى بالأولى وينزاح عن الثانية.

لتكون هذه المعاني مدلولات كلية تؤطر المسار القويم لطالب الهدى المنهاجي للوصول إلى درجات اليقين، ومما ينبغي أن نستشفه من هذه الفقرة، تركيز الإمام أبي الوليد على المحافظة على أصول الدين الكبرى وضرورياته التي يقوم بها، محافظة واعية لا محافظة منساقة مساقات الهوى والإرادة المطلقة، ليخلص رحمه الله تعالى إلى تأسيس قاعدة ربط العبادة بالمعرفة، من أجل تفادي منزلقات التفريط والإفراط في مجال الروح والمادة من هذا الإنسان.

وفي القسم الثاني من رسالته تعرض إلى أمور الدنيا، وهو الجانب المعاملاتي والسلوكي مع الغير ماديا ومعنويا، فحذر من الدنيا وحطامها الذي لا يزال يفنى كما يفنى بنو آدم، وزهد فيها ومتاعها، وحذر من الاستكثار منها، فقال: "وإياكما والاستكثار من الدنيا وحطامها، وعليكما بالتوسط فيها".(9)

ومن هنا تتجلى رسالية هذه الرسالة الموجزة، إنها رسالة تحمل معاني كلية لضبط منهج السالك إلى درجات الهدى واليقين، رسالة مزجت بين المعقول والمنقول في الدلالة، وبين المادة والروح في تنزيل الخطاب، رسالة حاول صاحبها من خلال فقراتها أن يربط الماضي بالحاضر، ويكسر أسوار القرون، ليبني دلالات تربوية دعوية عارية من قيود الزمان والمكان والإنسان، إنها تذكرة لمن أراد أن يتذكر ويتدبر معاني التربية في المنظومة الإسلامية.

ومن هنا نقول : إن العناية بمجال التربية والسلوك تنظيرا وتفعيلا، من أهم الأولويات التي ينبغي للعقل المسلم أن يصرف نظره وفكره نحوها، لما للتربية على الهدى المنهاجي الذي رسم خطوطه القرآن الكريم، وبينت مساراته السنة الشريفة من أثر على الإنسان في أبعاده التفكيرية والتدبيرية والتعبيرية، ولما كانت التربية على السلوك الحميدة بهذه الأهمية العظيمة كانت عناية العلماء سلفا وخلفا بها عناية كبيرة، بل إن العناية بالتربية كلية اتفقت عليها كل المذاهب الفكرية والدينية، لكن لما تباينت توجهاتها واختلفت منظوماتها المرجعية، تباينت بالضرورة نتائجها على الوسط التربوي، لتكون لمرجعية الإسلام الأولوية المطلقة في تدبير منظومة الأخلاق.

---

(1) ترتيب المدارك للقاضي عياض ج 8ص117 منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب. سير أعلام النبلاء للذهبي ج18 ص 542 مؤسسة الرسالة ، الديباج المذهب لابن فرحون ص200 دار الكتب العلمية.

(2) ترتيب المدارك ج 8 ص 117.

(3) الديباج لابن فرحون ص200.

(4) رواه أبو الطبري في الأوسط وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب 1 /58 .

(5) وقد توفي أبو الحسن قبل وفاة أبيه، أما الأول فقد خلف مجلس أبيه وكتب شعره.

(6) أخرجه الترمذي في السنن 1390وقال حديث حسن صحيح .

(7) انظر نص الوصية عند فريد الأنصاري في كتابه مفهوم العالمية ص 199دار السلام.

(8) المرجع السابق ص 199 وما بعدها .

(9) أنظر نص الوصية ص 220 من كتاب مفهوم العالمية.

أوراق شاهدة

إنقاذ الإيمان قبل السلطان

مازال قوله تعالى يرجنا في تشخيصه لنفسيات المنافقين : ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمومنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون إلا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾ فاضحا للوجوه المستعارة للذين في قلوبهم مرض ويحسبون أنهم مهتدون. وقد كان من صفات المنافقين الأولين أنهم يدارون نفاقهم ويداهنون ويجاملون الذين آمنوا ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا الى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون﴾ أما أصحاب أقنعة اليوم فهم مرتاحون في ازدواجيتهم مقتنعون بأنهم الحق وبأن الآخرين مجرد إرهابيين ومحرفين للدين ووجب إقامة الحواجز في وجه كل تحركاتهم وإحصاء أنفاسهم والسعي إلى جمعهم في سلة واحدة مع الجهال من سلالة قتلة عثمان رضي الله عنه، أولئك الذين حاصروا رجلا عظيما مبشرا بالجنة، رجلا مبجلا تستحيي منه الملائكة وصاحب رسول الله ﷺ، واغتياله في يوم صومه يوم جمعة من شهر ذي الحجة وتصريحهم بعد القتلة الشنيعة له أنهم قتلوه لله عز وجل ثم لشيء في أنفسهم كما صرح الملعون عمرو بن الحمق حين طعن سيدنا عثمان رضي الله عنه تسع طعنات وقال قولته التلبيسية الشهيرة «هذه الثلاثة الأولى لله وهذه الست لشيء في نفسي » .

وهي كما أسلفنا في حلقة ماضية، سياسة ميكيافلية يتم في خضم خلطها المتعمد التخلص من كل حاملي المشروع الإسلامي الرحيم المعتدل من منطلق إدراك المتربصين الحاقدين أنهم الأكثر توازنا ورشدا. وتلك مسرحية سيتكفل الله سبحانه بفضح مروجيها لأن عمر الباطل جد قصير.. ومع ذلك فلسنا بصدد ترسيخ فكر الإرجاء والطمأنينة إلى واقع هزيمتنا بحجة أن الله أعلم بنياتنا وأن اعتدالنا سيجلب لنا النصر عاجلا أو آجلا .

إن ما نراه من اشتعال للعالم العربي الإسلامي بالفتن وتخضب زرقته بالدخان وخضرته بالدماء يجب أن يجعلنا نتداعى للتساؤل عن دورنا في هذه الفتن. أليس انتصار العنف والإرهاب من جانب إخواننا كما من جانب مستعمرينا القدامى والجدد هو دليل لانحسار مد الدعوة الراشدة وتخلينا عن مقعد استنقاذ إيمان الناس وانشغالنا بحجم الرقعة التي نضع عليها أقدامنا، ونشوتنا كلما خرجنا في مظاهرات عارمة وسجلنا حضورنا فأبهرنا العيون وأرهبنا القلوب. ولم يكن رسول الله ﷺ مشغولا باستعراض قوته وهو ينشر دعوة الإسلام ويقتل الباطل في مجاهيل القلوب الصلدة، بالكلمة الطيبة والعفو عند المقدرة والرحمة للبر والفاجر، ولأن الشيء بالشيء يذكر. فقد كان من آثار تربيته العظيمة رقة ورحمة أن الفاروق بجلالة مهابته يشفق لحال يهودي عجوز يتكفف الناس في الطرقات وغضبه لأجله وحزنه على شيبته، وصرفه جراية له تصون كرامته، وهو الفاروق الذي قيل تجاسرا في قسوته بخصوص المرأة ما تنوء الجبال عن حمل حماقاته لا يستطيع حتى أن يمنع زوجه من رفع صوتها حد سماع العابرين له..(وتلك قصة أخرى) ولو انشغلنا بإيمان الناس وأحزننا ضلالهم لوجدنا الله بنا رحيما وما سلط علينا بذنوبنا من لا يخافه فينا ولا يرحمنا ..

وبالعودة إلى الجزء الثاني من حلقتنا الماضية ، فقد مرت بنا في الأشهر الأخيرة أكبر ملحمة لانتصار المسلمين من خلال الشعب الفلسطيني شعب الجبارين. ولعل الكثيرين منا غرقوا في عسل نشوة التفوق على الصهاينة. وما أدركوا أنه نصر محفوف بكل المخاطر طالما ظل رأس الحية صاحيا لمواصلة الكيد، كما أن خلاصات ضرورية يجب أن تعضد توجهاتنا إن كنا رساليين حقا. وعلى رأس هذه الخلاصات اجتناب تجريم اليهود والغربيين جملة ودون تبين، لأن من شأن عدم الحسم في هذا الأمر بالنسبة للرساليين من موجهي الرأي أن يجنح بتابعيهم من العوام إلى التطرف والتشدد والإقصاء حد العنف بكل درجاته. وقد أمدنا سبحانه بعبر ودروس عجيبة إبان اجتياح غزة الماجدة إذ خرجت أكبر المظاهرات ببلاد الغرب ورأينا في صفوفها عجزة لا يقدرون حتى على الخطو يرفعون اللافتات ويبحون برفع شعارات إدانتهم للغزو الهمجي الصهيوني ورأينا شبابا هم في قاموس ثلة من متدينينا مجرد سفهاء ومنحرفين يتحركون في كل المواقع لفضح العدوان الصهيوني، كما رأينا يهودا من منظمة ناطوري كارتا بلباسهم الأسود المميز، وهم يرفضون الاحتلال الإسرائيلي ويدعمون المقاومة الفلسطينية ويتظاهرون لنصرتها.

وقرأنا لضباط وعسكريين يهود يرفضون الخدمة بل ويستقيلون ويعلنون معارضتهم لضرب المدنيين معلنين بأنها ليست حربهم. وقرأنا لمجموعة من اليهود الناجين من الهولوكوست وهم يرفضون أن تتكرر مأساتهم من خلال الشعب الفلسطيني . ورأينا من الغربيين من يعيد للصهاينة جوائزهم العلمية والأدبية ومن يقاطع سلاحهم وسلعهم ومطاراتهم.. ومن ومن ومن.. بل ورأينا بالمواقع الاجتماعية تصريحات في منتهى الإنسانية والرحمة لفنانين كبار لهم أياد بيضاء عظيمة في خدمة المسلمين كما تفعل النجمة العالمية أنجلينا جولي التي يكفي أن تنقر على اسمها في الانترنيت لترى كيف توجه ثروتها لصالح المنكوبين من المسلمين في نقط سوداء من العالم، وكيف ترأف بصغارهم فتحضنهم وتمسح دمعتهم ومخاطهم وتحزن لشيوخهم، بل وتلبس الحجاب في حضرة رجالهم الملتزمين، وتغطي كل مفاتنها وهي توزع المساعدات جنبا إلى جنب معهم بل وأصدرت تصريحا قويا ضد المسيئين للقرآن الكريم، ودعت المسلمين للدفاع عن كتابهم وكان لها تصريح مناصر لغزة بلا مواربة جاء فيه (العرب والمسلمون ليسوا إرهابيين يجب أن يتحد العالم لمواجهة إسرائيل). ولا أحد يستطيع أن يتذكر غزة وجرائم الصهيونية في حقها دون أن يذكر أيقونة التضحية لأجلها الراحلة راشيل كوري الناشطة الأمريكية الصبية التي سكن الشعب الفلسطيني قلبها فرحلت لتعيش معه محنته ولتلقي بنفسها تحت عجلات جرافة الصهاينة لتمنع تدمير منازله .

هي إذن أمثلة قليلة لفيض من حالات الغربيين المناصرين لقضايا المسلمين وهي أكثر من أن تعد ..فهل يحتاج هذا الغرب بمسيحييه ويهودييه وملحديه إلى مقاربة السلطان أو مقاربة الإيمان لتنزيل منظومة الدعوة الرحيمة في حياة البشرية الممعنة في التيه، ذلك ما سنراه في حلقة قادمة بإذن الله

وأدخل الله هذه العشر من ذي الحجة وأيامها المباركة علينا أجمعين بمزيد من التبصر والحكمة والرحمة لبعضنا البعض وللناس أجمعين.

ذة. فوزية حجبي
al.abira@hotmail.com

ومضة

هي الأم..

محظوظة.. تعيش خريف عمرها مع ابنها معززة مكرمة...

وحدها تعرف الحقيقة المُرة... تتجرع المرارة في خريف العمر...

صارت خادمة في بيت ابنها بلا أجرة مقابل لقيْمة تتجرعها بذل وكمد.. وفراش رث في ركن بجانب غرفة أحفادها.. فهي الطباخة والمنظفة والمربية والخادمة لابنها وكنتها وأحفادها... بعد أن تخلت كنتها عن كل واجباتها في البيت، وأصبح كل همها عملها خارج البيت وصديقاتها والاهتمام بنفسها ...

أنهكتها المسؤولية الملقاة على عاتقها .. أنهكها المرض.. أنهكتها شيخوختها.. لم تعد تتمنى في هذه الحياة سوى أن ترتاح من عناء مشوار إنجاب وتربية الأبناء وهمومهم.. وها هي تعيد المشوار نفسه مع حفدتها..

فاتحت ابنها وزوجه في الأمر، اقترحت عليهما إحضار مساعدة تساعدها في أعمال البيت، بينما تتولى هي رعاية أحفادها.. لكنهما ثارا في وجهها .. قالت لها كنتها: " إذا أردت مساعدة.. فعليك مغادرة البيت.."

رحلت عند ابنتها.. استقبلتها الابنة بالاستغناء عن المساعِدة لتحل الأم محلها..

وجدت نفسها تعيد مأساة تشغيلها مع ابنتها.. وهي العجوز التي لا تبحث سوى عن راحة في ركن آمن تقضي فيه ما تبقى من عمرها...

بقلم :
ذة. نبيلة عزوزي

مَوكِبُ الحَجِيم

أمَا وَالذي حَجَّ المُحِبُّونَ بَيْتَهُ
وقدْ كَشفُوا تِلكَ الرُّؤوسَ تواضُعًا
يُهلُّونَ بالبيداءِ لبيك ربَّنا
دعاهُمْ فلبَّوْهُ رِضًا ومَحَبَّة
ترَاهُمْ على الأنضاءِ شُعْثًا رؤوسُهُمْ
وَقدْ فارَقوا الأوطانَ والأهلَ رغبةً
يَسيرونَ مِن أقطارِها وفِجاجِها
ولمَّا رأتْ أبصارُهُم بيتَهُ الذي
كأنهمُ لمْ يَنْصَبُوا قطُّ قبْلَهُ
فللَّه كمْ مِن عَبْرةٍ مُهْرَاقةٍ
وَقدْ شَرِقتْ عينُ المُحبِّ بدَمْعِها
ورَاحُوا إلى التَّعْريفِ يَرْجُونَ رحمةً
فلله ذاكَ الموقفُ الأعظمُ الذي
ويَدْنُو بهِ الجبّارُ جَلَّ جلالُهُ
يقولُ عبادِي قدْ أتونِي مَحَبَّةً
فأشْهِدُكُمْ أنِّي غَفَرْتُ ذنُوبَهُم
فبُشراكُمُ يا أهلَ ذا المَوقفِ الذي
فكمْ مِن عتيقٍ فيه كَمَّلَ عِتقَهُ
ومَا رُؤيَ الشيطانُ أغيظَ في الوَرَى
وَذاكَ لأمْرٍ قد رَآه فغاظَهُ
وراحُوا إلى جَمْعٍ فباتُوا بمَشعَرِ الـ
إلى الجَمْرةِ الكُبرَى يُريدون رَمْيَها
منازلَهمْ للنحْرِ يَبغونَ فضلَهُ
ولمَّا تقضَّوْا ذلكَ التَّفَثَ الذي
دعاهُم إلى البيتِ العتيقِ زيارةً
فللهِ ما أبْهَى زيارتَهُمْ لهُ
وَللهِ أفضالٌ هناكَ ونِعْمَةٌ
وعادُوا إلى تلكَ المنازلِ مِن مِنًى
أقامُوا بها يومًا ويومًا وثالثًا
وراحُوا إلى رمْيِ الجمارِ عَشِيَّةً
فلو أبْصرَتْ عيناكَ موقفَهمْ بها
ينادونَهُ يا ربِّ يا ربِّ إننا
وها نحنُ نرجو منكَ ما أنتَ أهلُهُ
ولمَّا تقضَّوْا مِن مِنًى كلَّ حاجةٍ
إلى الكعبةِ البيتِ الحَرامِ عشيةً
ولمَّا دَنا التوْديعُ منهمْ وأيْقنُوا
ولمْ يبقَ إلا وقفةٌ لمُوَدِّعٍ
رَحَلتُ وأشْواقِي إليكمْ مُقيمَةٌ
أوَدِّعُكُمْ والشوقُ يُثنِي أعِنَّتِي
هنالكَ لا تَثْريبَ يومًا عَلَى امْرئٍ
فيَا سائِقينَ العِيسَ باللهِ ربِّكمْ

وَلبُّوا لهُ عندَ المَهَلِّ وَأحْرَمُوا
لِعزَّةِ مَن تعْنو الوُجوهُ وتُسلِمُ
لكَ المُلكُ والحَمْدُ الذي أنتَ تَعْلَمُ
فلمَّا دَعَوهُ كان أقربَ منهمُ
وغُبْرًا وهُمْ فيها أسَرُّ وأنْعَمُ
ولم يُثنِهِمْ لذَّاتُهُمْ والتَّنَعُّمُ
رِجالا ورُكْبانا ولله أسْلمُوا
قلوبُ الوَرَى شوقًا إليهِ تَضَرَّمُ
لأنَّ شَقاهُمْ قد ترحَّلَ عنْهُمُو
وأخرى على آثارِها لا تَقَدَّمُ
فينظرُ مِن بينِ الدُّموعِ ويُسْجِمُ...
ومغفرة ممَّن يجودُ ويُكرِمُ
كموقفِ يومِ العَرْضِ بلْ ذاكَ أعظمُ
يُباهِي بهِمْ أمْلاكَه فهو أكرَمُ
وَإنِّي بهِمْ بَرٌّ أجُودُ وأرْحَمُ
وأعْطيْتُهُمْ ما أمَّلوهُ وأنْعِمُ
به يَغفرُ اللهُ الذنوبَ ويَرحمُ
وآخرَ يَسْتسعَى وربُّكَ أرْحَمُ
وأحْقرَ منهُ عندها وهو ألأَمُ
فأقبلَ يَحْثُو التُّربَ غَيْظا وَيَلطِمُ...
حَرَامِ وصَلَّوْا الفجْرَ ثمَّ تقدَّموا
لوقتِ صلاةِ العيدِ ثمَّ تيَمَّمُوا
وإحياءَ نُسْكٍ مِن أبيهِمْ يُعَظَّمُ..
عليهِمْ وأوْفَوا نذرَهُمْ ثمَّ تَمَّمُوا
فيَا مرحَبًا بالزائرين وأكرمُ
وقدْ حُصِّلتْ تلكَ الجوائزُ تُقْسَمُ
وبِرٌّ وإحْسَانٌ وجُودٌ ومَرْحَمُ
ونالُوا مناهُمْ عندَها وتَنَعَّمُوا
وأذِّنَ فِيهِمْ بالرحيلِ وأعْلِمُوا
شعارُهُمُ التكْبيرُ واللهُ معْهُمُو
وَقدْ بسَطوا تلكَ الأكفَّ لِيُرْحَمُوا
عبيدُكَ لا ندْعو سواكَ وتَعْلَمُ
فأنتَ الذي تُعْطِي الجزيلَ وتُنْعِمُ
وسالتْ بهِمْ تلكَ البِطاحُ تقدَّموا
وطافُوا بها سبْعًا وصَلوْا وسَلَّمُوا
بأنَّ التدَانِي حبْلُهُ مُتَصَرَّمُ
فللهِ أجفانٌ هناكَ تُسَجَّمُ..
ونارُ الأسَى مِنِّي تَشُبُّ وتَضْرمُ
وقلبيَ أمْسَى فِي حِماكُمْ مُخَيَّمُ
إذا ما بَدا منهُ الذي كانَ يَكْتُمُ
قِفوا لِي على تلكَ الرُّبوعِ وسَلِّمُوا

لابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى

شرح الأربعين الأدبية [39]

في التحريك بالشعر (2)

د. الحسين زروق

روى النسائي «عن قيس قال: قال عمر: قال رسول الله ﷺ لعبد الله بن رواحة: «لو حركت بنا الرِّكاب». فقال: قد تَركتُ قَولِي. قال له عمر: اسمع وأطع. قال:

اللهم لولا أنتَ ما اهتدينا
ولا تَصَدّقنا ولا صَلَّينا
فأنزلنْ سَكِينةً عَلَينا
وثبِّت الأقدامَ إن لاقينا

فقال رسول الله ﷺ: «اللهم ارحمه». فقال عمر: وجبت.(1)

كانت لنا في الحلقة السابقة وقفة مع المسألة الأولى من المسائل الخمس في هذا الحديث، وفي هذه الحلقة تتمة لباقي مسائله.

أما المسألة الثانية فهي أن المُطالَبَ بتحريك الركاب هو عبدُ الله بن رواحة، وهو من السابقين الأولين من الأنصار، وأحد النقباء ليلة العقبة، شهد بدرا وما بعدها إلى أن استشهد بمؤتة، وكان أول خارج إلى الغزو وآخر قافل، وقد عُرف عنه أنه كان إذا لقي صاحبا له قال له: «تعال نؤمن ساعة» (2).

وينبغي أن نلاحظ في حديث الباب قول عبد الله: «قد تركتُ قولي»، وهو دال على تركه قولَ الشعر، وزهده فيه، وفي ذلك تحوُّل في شخصية هذا الرجل لم يُلتفت إليه، فالظاهر - بناء على ما قدمناه آنفا من ارتقائه الروحي- أنه قرر قطع الصلة بالشعر.

وقد رأينا في حديث سابق أن الشاعر نفسه كان يرتجز بين يدي النبي ﷺ بمكة (3)، فكيف نجمع بين الحديثين؟

الأمر يسير، فرجز ابن رواحة كان في عمرة القضاء سنة سبْع من الهجرة، أما ما طُلب منه هنا فهو قبْل ذلك، على أن عبد الله ذكر أنه ترَك الشعر، وهو دال على أنه فعَل ذلك قبل هذه اللحظة، وهو هنا يَذكر ذلك الموقف الذي اتخذه، وقد شاء الله تعالى أن تَكون هذه المناسبة التي نعلم فيها هذا التحول في تعامل عبد الله مع الشعر هي نفسها التي ستعيد نسج علاقته به، فسيتخلى عن ذلك الموقف منذ هذه اللحظة بتوجيه من عمر.

وأعتقد أنه على المؤرخين للحياة الشعرية لابن رواحة أن يستفيدوا من هذا المعطى في تبرير قِلة ما وصَلنا من شعر ابن رواحة مقارنة بشعر حسان بن ثابت وكعب بن مالك، فهذا التحول دال على فترة انقطاع، ثم على تراجع كمي في الإنتاج الشعري.

وأما المسألة الثالثة فهي أن الشعر الذي اختاره ابن رواحة لتحريك الركاب هو نفسه الشعر الذي نراه قد استُعمل في عدد من المناسبات، منها حفر الخندق، والمسير إلى خيبر، وقد سبقت الإشارة إليهما، وهو على كل حال شعر مفعم بالإيمان، حسبنا منه أنه يُوَلي وجهه شطر أمرين:

أولهما الإقرار بأن الله هو الهادي، وأنه لولاه لما اهتدى المهتدون، ولا صلى المصلون، أو تصدق المتصدقون، فهو الذي وَفق للهداية والصلاة والصدقة.

والثاني دعاء ابن رواحة اللهَ تعالى أنْ يُنزل على المسلمين السَكينةَ ويثبِّتَ أقدامَهم عند ملاقاة العدو.

وقد يُشعر هذا الشعر أن الرُّكوب المتحدَّث عنه آنفا ركوب غزو.

وأما المسألة الرابعة فهي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الذي تدخل لجعْل ابن رواحة يُحَرِّك الرِّكابَ لا النبي ﷺ، فكأنّ رسول الله ﷺ ترَك عبد الله وموقفه، بينما فهم عمرُ أن الطلب النبوي على سبيل الوجوب كما يَظهر من قوله: «اسمع وأطع»، فمَعَ أنّ هذا الطلَب قُدِّم بصيغة «لو حركتَ»، وأن ابن رواحة لم يَفهم منها وُجوبا، إلا أن عمر فَهم فهْما مختلفا، فالطلَب النبوي بأيّ صيغَة كان هو طلَب للتنفيذ، وينبغي أن يُقابَل بالسمع والطاعة، وقد عبَّر عمر عن ذلك بصيغة الفعل، واستعمل فِعْلَيْ أمر لا فعلا واحدا، وذلك ما جعل ابن رواحة يتخلى عن موقفه ويُنشد الشعر.

والعجيب أن حديث عمر مع عبد الله بخصوص الشعر سيرد مرة أخرى بمناسبة عمرة القضاء، وستَخْتَلف المواقفُ تماما، فابنُ رواحة الذي تَرك هنا قَولَ الشعر سنَراه هناك يَرتجز بمبادرة منه، وعُمَر الذي نراه هنا يَدعوه إلى السمع والطاعة نراه هناك يَستنكر عليه فعله، ويقول له: «يا ابن رواحة، بين يدي رسول الله ﷺ وفي حرم الله تقول الشعر؟!» (4).

وقد يكون مبرِّرُ هذا الاختلاف بخصوص عمر، أن المناسبة مختلفة، وأنّ هناك فرقا بين حال السلم وحال الحرب، وبين أن يَكُون المرء في الحرَم وأن يَكُون في غيره، وبين أن يَكُون بطلب نبوي، وأن يَكُون بمبادرة شخصية...

وأما المسألة الخامسة فهي أن النبي ﷺ قال بعْدَ أن انتهى عبد الله بن رواحة من إنشاد الشعر: «اللهم ارحمه»، وهو دعاء دال عن رضا نبوي لسببين: أولهما استجابة ابن رواحة لطلبه بتحريكه الرِّكاب، وثانيهما المحتوى الشعري الراقي الذي استعمله في ذلك.

ثم إنه يُفهم من الدعاء النبوي أمران:

كونه ﷺ يريد لهذا الشاعر أن يَستمر في قول الشعر وإنشاده، ويترك الموقف الذي اتخذه.

وكونه ﷺ راضيا عن أداء شاعره.

---

(1) - السنن الكبرى للنسائي، حديث رقم 8250، ك.المناقب، ب.عبد الله بن رواحة. صححه الألباني في (الصحيحة، حديث رقم 3280). وفي وزن الشطر الأول خلل، وفي (شرح صحيح مسلم، 131/12، حديث رقم 124/1802) «والله لولا الله ما اهتدينا».

(2) - تنظر مناقبه في الاستيعاب لابن عبد البر، ص: 396-398، والإصابة، 72/4-75.

(3) - صحيح سنن الترمذي، 136/3، حديث رقم 2847، ك.الأدب، ب.ما جاء في إنشاد الشعر.

(4) - صحيح سنن الترمذي، 136/3، حديث رقم 2847، ك.الأدب، ب.ما جاء في إنشاد الشعر.

منهجيات أخرى للكتابة والتأليف

د. أحمد الطلحي

نشرت في العدد 418 من المحجة الصادر بتاريخ 17 أبريل 2014 مقالا بعنوان "الخطوات العشر للكتابة والتأليف"، وكنت قد وعدت بأن أعود للموضوع لاقتراح منهجيات أخرى تساعد على الكتابة والتأليف، لذلك فهذا المقال يأتي في هذا السياق.

الاقتراح الثاني (*) : تحويل المحاضرات أو المداخلات المسجلة إلى مقالات :

ما هو مشهور عن المغاربة، أن ثقافتهم شفوية أكثر، لذلك يلاحظ غنى تراثهم الشفوي. فترى العديد من المفكرين والمثقفين المغاربة علمهم غزير وفكرهم متميز، إلا أن إسهاماتهم وإنتاجاتهم لا تدون ولا توثق في أغلب الأحيان، فتضيع أو لا تنتشر بالمستوى المطلوب. على أنهم لا يتهاونون في نشر هذا العلم وهذا الفكر عبر المحاضرات والمشاركة في الندوات والمؤتمرات، وتسجيل الحوارات واللقاءات الصحافية بمختلف وسائل الإعلام.

لذلك، أقترح أن يتم تفريغ الأشرطة المسجلة وتنقيحها والعمل على نشرها على شكل مقالات أو رسائل أو كتب. وهذا الأمر يمكن أن تسهم فيه بعض الصحف والمجلات ودور النشر، تخفيفا لعبء العمل التقني على الكاتب. وأظن أن "المحجة" مثالا يحتذى في هذا الأمر.

الاقتراح الثالث: التسجيل الصوتي أو المرئي :

وهو بعكس الاقتراح الثاني، التسجيل يكون بهدف الكتابة، بحيث يعمد الكاتب إلى تسجيل نفسه بواسطة آلة التسجيل وغيرها، ثم يعمل على تفريغ الشريط وتنقيحه ونشر النص. بمعنى آخر، كل واحد منا يقوم بحوار داخلي مع نفسه، يحدث نفسه، حتى أنه في بعض الأحيان يرتفع صوتنا ونحرج أمام من سمعونا. وهذا الحوار الداخلي أمر طبيعي، هو عملية التفكير نفسها.

لذلك، فالاقتراح هو التفكير بصوت عال، حتى يتم تسجيله. والاستماع للتسجيل يكون مناسبة للتصحيح وللزيادة وللتوثيق... وهذه الطريقة يتبعها العديد من الناس، خصوصا عندما يكتبون مذكراتهم.

الاقتراح الرابع: إجراء حوار مع شخص آخر أو أكثر :

وهذا الأمر يمكن أن يكون عفويا، كما يمكن أن يكون مدبرا ومخططا له. كما أنه يمكن أن يكون بالمواجهة المباشرة أو عبر وسيلة اتصال كالهاتف والنت، وإذا كان عبر النت من خلال نوافذ الدردشة (الشات) أفضل أن يكون مكتوبا.

فبالنسبة للحوار العفوي، إذا رأى الكاتب أن ما دار من حوار بينه وبين شخص آخر أو أكثر فيه أهمية ما على مستوى: جدية الموضوع؛ نوعية المعالجة؛ أهمية المعلومات؛ أهمية الخلاصات والاستنتاجات التي تمخض عنها... لا ينبغي أن يترك كل ذلك للريح تنثره وتذهب به بعيدا في عالم النسيان. بل عليه أن يهرع بعيد هذا الحوار إلى تدوينه على شكل رؤوس أقلام أولا إن لم يسعفه الوقت، ليعود لتحريره كاملا بعد ذلك. وللأمانة العلمية، فالمقال السابق كتبته من خلال دردشة مع أحد الأصدقاء عبر مواقع التواصل الاجتماعي، كنت أحاول أن أقنعه بالتأليف وتدوين تجربته في إحدى المجالات، وأخبرته بعد ذلك بأن الحوار الذي دار بيننا تم نشره في المحجة لأدلل له على يسر الكتابة وأن الإرادة هي التي تنقص وليس الوسيلة.

أما الحوار المدبر، فهو يكون أجدى من العفوي، ذلك لأن الكاتب يكون منشغلا بموضوع ما ويريد أن يشرك آخرين في مدارسته، فيعمد إلى فتح حوار معهم. وفي الغالب ما يكون هذا الحوار قد هيأه الكاتب في ذهنه أو سطره على ورقة، وبالتالي يكون الحوار ممنهجا فيؤتي أكله أفضل من العفوي. ويمكن أن يقوم الكاتب بإخبار من يحاورهم بأن الحوار منظم ومخطط له، كما يمكنه ألا يخبرهم بذلك. والحوار المنظم ليس غريبا في حضارتنا. فهذا الفن كان منتشرا وعرف بفن المناظرة، والاختلاف بينه وبين ما أقترح يتجلى في أن المناظرة كانت ولا تزال عبارة عن مباراة علنية تتم أمام جمهور من الناس، وبالتالي يكون فيها طرف رابح وطرف خاسر، أما الحوار المدبر فيكون الهدف منه هو أن يحدث احتكاك فكري بغية التوصل إلى نتائج أفضل، بمعنى آخر تفكير الذات مع الآخر بصوت مرتفع عوض التفكير مع الذات فقط.

الاقتراح الخامس: تدوين التفاعل بشكل فوري مع الأحداث أو المنشورات أو المشاهدات :

كل واحد منا عندما يقرأ مقالا أو دراسة أو خبرا، أو يسمع برنامجا إذاعيا، أو يشاهد برنامجا تلفزيونيا، أو يعاين حدثا ما أو يحضر نشاطا ما، أو..أو..، لا بد أن يحصل له تفاعل ما، بحيث يتكون له رأي خاص به أو يحصل له تأثر وجداني. أكيد أن كل ذلك يؤدي بنا إلى استفادة ما، على المستوى الفكري أو الشعوري أو السلوكي، لكن ليس من المؤكد أن هذه الاستفادة ستدوم أو ستنتقل إلى الآخرين. وبالتالي فالعلاج الوحيد هو التدوين، ويكون صادقا وصحيحا وأمينا إذا كان فور حدوث التفاعل. لهذا تحرص المواقع الإلكترونية على تخصيص فضاء للتفاعل لزوارها مقرونا بأي منشور للموقع، كان نصا مقروءا أو شريطا مرئيا.

صحيح أن التدوين الفوري للتفاعل لا يكون في الغالب موضوعيا أو مبنيا بناء منهجيا وعلميا، ولذلك أنصح بعدم النشر دائما إلا بعد التنقيح وبعد فترة زمنية كفترة نقاهة يحددها الكاتب نفسه.

وأخيرا، أكرر بأن كل ما نعيشه ونعانيه، وكل ما نفكر فيه ونتوصل إليه، يمكن أن يكون مهما ويمكن أن يكون مادة للتأليف والنشر، فقط بشيء من التكوين والتدريب والاستشارة الدائمة.

(×) الاقتراح الأول هو الذي تم نشره في العدد 418

إصـــدارات

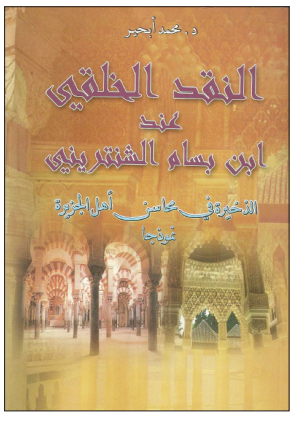

صدر للدكتور: محمد أبحير كتاب النقد الخلقي عند ابن بسام الشنتريني الذخير في محاسن أهل الجزيرة نموذجا، والكتاب من الحجم المتوسط يحتوي على 192 صفحة.

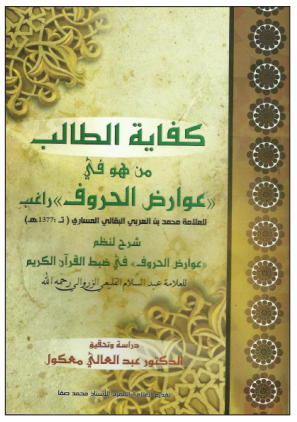

صدر للدكتور: عبد العالي معكول كتاب كفاية الطالب من هو في «عوارض الحروف» راغب للعلامة محمد بن العربي البقالي المساري (ت : 1377 هـ) والكتاب شرح على نظم (عوارض الحروف) في ضبط القرآن الكريم للعلامة عبد السلام القليعي الزروالي رحمه الله تعالى وقد انصب جهد المؤلف على دراسة وتحقيق المتن الأصلي، ليسفر الجهد المشكور عن كتاب من الحجم المتوسط في 127 صفحة وقد قدم للكتاب الأستاذ المقرئ محمد صفا.

قسيمة الاشتراك

الاسم الكامل : .....

العنوان الكامل :.....

الاشتراك السنوي : 20 عددا

■ داخل المغــرب : 60 درهم

■ خارج المغــرب : 20 أورو أو ما يعادلها

ترسل الاشتراكات باسم :

● جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية

● أو جريدة المحجة على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين فاس) رقم :

2111113412900014

أما قسيمة الاشتراك والوصل فيبعثان إلى مقر الجريدة على العنوان التالي :

جريدة المحجة حي عز الله، زنقة 2، رقم 3، الدكارات، فاس – المغرب

د. عبد المجيد بنمسعود

خروج في سفينة المجتمع

47 – متى تبحر سفينة التعليم في الاتجاه الصحيح ؟

قد تستغرب طائفة ممن لهم صلة بالشأن التعليمي بالمغرب إطلاق هذا الحكم على «المنظومة» التعليمية التربوية المغربية، وتسمه بالقسوة والإجحاف، اعتقادا منهم بأن هذه الأخيرة قد حققت أهدافا لا يستهان بها على مستوى الجودة في الأداء، ومن ثم في بلوغ المرامي وتحقيق المقاصد المنوطة بها على حد سواء.

والحق أن كل من عايش هذا النظام عبر أطواره المتراكبة، ونفذ إلى أعماقه وخباياه، من منطلق التخصص والممارسة الميدانية، يمكنه أن يبرهن بألف دليل ودليل، على مصداقية الحكم المذكور وموضوعيته، اللتين تتجليان في مختلف الجوانب والأبعاد.

جاء في «قاموس المعاني» : «الخَرْقاءُ : الأرضُ الواسعةُ تَنْخَرِق فيها الرياحُ.

و الخَرْقاءُ من الرِّيح : الشديدة الهبوب.

و الخَرْقاءُ التي لا تدُوم على جهةٍ في هُبوبها.

و الخَرْقاءُ المرأةُ غيرُ الصَّنَاع.

و الخَرْقاءُ النَّاقةُ لا تَتَعهَّد مواضع قوائمها».

فنحن إذا دققنا النظر في هذه المعاني في ضوء واقعنا التعليمي وجدنا أغلبها منطبقة عليه بشكل غريب، فريح السياسات التعليمية منذ الاستقلال لم تكد تستقر على حال في توجهها واختياراتها، اللهم إلا حال التبعية والتذبذب والحيرة والاضطراب، فهي لا تعلم ما تقدم ولا ما تؤخر، ولا تكاد تبرم أمرا حتى تبادر إلى نقضه في زمن قياسي، غير آبهة إلى العواقب الوخيمة المترتبة على ذلك التهور والعبث والاستعجال، مما يدل بوضوح على أن تعليمنا فاقد للبوصلة، وما البوصلة إلا الاختيارات الواضحة، المنبثقة من فلسفة محددة المبادئ والأركان، بعيدا عن أي خلط أوتلفيق، تحت ذريعة التوافق التي تبرر للجمع الفاضح بين النقائض والأضداد على مستوى الإيديولوجيات والعقائد والأفكار، مما يدل بشكل قاطع على خلو الوطن من استراتيجية صارمة ودقيقة كفيلة بقيادة سفينة المجتمع على مستوى التشكيل والتكوين والتهذيب، ومن ثم على مستوى صناعة المستقبل والخروج من قمقم التخلف والجمود، الذي أدخل فيه المجتمع عنوة، في غياب استقلالية القرار، وتغييب الطاقات الفاعلة، وفي ظل التنكر لهوية الشعب المتمثلة في مقومات الدين واللغة ووحدة الجغرافيا والتاريخ، الأمر الذي تمخض عنه جيل يفتقد في قطاعات عريضة منه لمقومات القوة والحيوية والتوازن والفاعلية، كنتيجة حتمية لانفراط شمله القيمي وسط رياح هوجاء من المذاهب والتيارات، ومن التوجهات والاختيارات.

وإذا كنا بحاجة إلى ضرب الأمثلة والإدلاء بالأدلة على أخرقية التعليم ببلدنا وعدم معرفته أين يضع رجليه، وجهله بعواقب قراراته المرتجلة، وتصرفاته المبتذلة، فلتكن هذه الأمثلة من الجديد الذي تفتقت عنه عبقرية السلطة التعليمية التي وكل إليها قيادة سفينة التعليم التي تكاثرت فيها الخروق، وتسرب إليها من المياه ما لا قبل لها به.

المثال الأول يتعلق بمخلوق جديد في عالم الباكلوريا، إنها عروس التعليم المدللة وصاحبة الامتياز، شريفة الحسب والنسب، التي لا يشق لها غبار، ولا يرد لها أمر: الباكلوريا الدولية، إنها إيحاء واضح وصريح، بأن ما سواها يفتقد إلى صفة الدولية، لأنه يفتقد إلى شروطها ومقوماتها، وفي ذلك ما فيه من احتقار لباكلوريا الجماهير، وسوء تقدير لقيمتها واستخفاف لوزنها، وفيه ما فيه من ضرب سافر لوحدة التعليم، أحد المبادئ الأربعة التي شكلت مطلب الحركة الوطنية كشرط لإصلاح جذري للتعليم، والتي ظلت جميعها للأسف الشديد مطلبا عزيز المنال، بسبب الخور وفقدان السيادة في هذا القطاع الاستراتيجي الذي يمثل المحضن الأساس لترسيخ المناعة ومفهوم السيادة، وتوطيد المنعة في كيان الشعب.

أما المثال الثاني فيتعلق بقرار منع الموظفين من ولوج أبواب المؤسسات الجامعية لاستكمال دراستهم وتحسين مستواهم العلمي. ويمثل هذا السلوك . بلا شك . موقفا مرتجلا غريبا ومشينا في حق شعب ينتمي إلى أمة تبجل العلم وتدعو إلى الاستزادة منه من المهد إلى اللحد وطلبه ولو في الصين، أمة يعتبر فيها مداد العلماء أثقل في ميزان الله من دماء الشهداء، أمة تقرأ صباح مساء، قوله تعالى:﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ وقوله تعالى: ﴿وقل رب زدني علما﴾ وغيرها من الآيات التي ترفع العلم إلى المقام الأعلى كقيمة مركزية كبرى إلى جانب قيمة الإيمان، مصداقا لقوله تعالى:﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ (المجادلة : 11).

إن سمة الفوضى والارتجال، هي السمة الغالبة على السياسة التعليمية في البلد، رغم الجهود المبذولة، والأموال المهدورة، و«الإصلاحات» المتوالية، لأنها سياسة بدون فلسفة، اللهم إلا إذا كان لأشتات الأفكار والتصورات الملفقة حظ من شرف الانتساب إلى الفكر الفلسفي الرشيد، وهو أمر لا يقول به أحد من العقلاء.

لقد آن الأوان لسفينة التعليم في المغرب أن تبحر في الاتجاه الصحيح، بقيادة ربابنة مخلصين أمناء أقوياء، وما الاتجاه الصحيح إلا ترسم فلسفة القرآن التي تجمع بين تلاوة الآيات والتزكية والتعليم، مصداقا لقوله تعالى: ﴿هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ (الجمعة : 2) صدق الله العظيم.

د: عبد القادر لوكيلي

غزة ..... و العبث السياسي

...لم يفهم أحد من كبار المحللين السياسيين المتخصصين بقضايا الشرق الأوسط السبب الحقيقي وراء سعي السلطة الفلسطينية الدؤوب لعرقلة طلب انضمامها للمحكمة الجنائية الدولية، والذي يتيح لها حق ملاحقة إسرائيل ومعاقبتها على جرائمها في حرب غزة الأخيرة. ومن أبرز هؤلاء المحللين المحتارين الصحفي البريطاني المشهور(دافيد هيرست) الذي كشف في مقاله الأخير بصحيفة (هافينغتون بوست) ليوم الخميس 11-09-14 بأن وزير خارجية السلطة المالكي زار لاهاي- على جناح السرعة- إبان الحرب على غزة بهدف وقف طلب الانضمام القانوني الذي تقدم به وزير العدل الفلسطيني (سليم السقا) من أجل ملاحقة إسرائيل على جرائمها في غزة.... الغريب والمريب في الأمر أن المالكي الذي ذهب لعرقلة الطلب هو نفسه الذي صرح قبيل سفره بأيام بأن: «هناك أدلة دامغة على ارتكاب إسرائيل لجرائم حرب في غزة».... إلا ان الرجل بدل أن يقدم أدلته «الدامغة» أمام المحكمة الدولية، قام بعرقلة طلب الانضمام لهذه المحكمة أصلا حتى يخلص مجرمي الحرب الإسرائيليين من الملاحقة القضائية الدولية...وفي محاولته لفهم كل هذا العبث السياسي يخلص الكاتب الصحفي إلى خبر مفاده «أن الرئيس محمود عباس التقى ب(ناتانياهو) في عمان إبان الحرب على غزة (وهو الخبر الذي سارع إعلام السلطة ومن والاه إلى نفيه جملة و تفصيلا)»

طبعا لا يحتاج المرء إلى كثير تأمل لكي يستخلص بأن الأمر دبر بليل، وأن قرار الانسحاب من الانضمام للمحكمة الدولية قد يكون بطلب من (نتن ياهو) شخصيا خصوصا بعدما نشر في كثير من وسائل الإعلام الغربية وحتى الإسرائيلية عن مستوى الهلع والخوف الشديد الذي أصبح القادة الصهاينة يعانون منه مخافة الملاحقات القانونية من قبل محكمة الجنائية الدولية خاصة بعد توافر الأدلة والشهادات الموثقة عن ارتكاب الجيش الإسرائيلي لجرائم حرب تعاقب عليها القوانين والأعراف الدولية ... خاصة وقد سبقت ملاحقة العديد من القادة الإسرائيليين من قبل كما حصل لوزيرة الخارجية وقتها (ستيفي ليفني) التي عادت أدراجها من مطار لندن فرارا من شرطة (السكوتلانديار) الدولية...

... في نفس السياق أكدت المدعية العامة للمحكمة الدولية (فاتو بنسودة) - في رسالة نشرها عدد من المواقع الموثوقة- ما ذكره الكاتب الصحفي (دافيد هيرست) بأنها فعلا جاءها المالكي وطلب منها رسميا سحب طلب الانضمام للمحكمة الدولية... وتؤكد المدعية العامة «أنه بمقدور دولة فلسطين الانضمام إلى ميثاق روما لرفع الدعاوى ضد القادة الصهاينة حتى تقوم المحكمة بملاحقتهم في المحافل الدولية، شريطة أن يكون مقدم الطلب رئيس الدولة أو وزير الخارجية أو رئيس الوزراء أو أي شخص مخول من الحكومة الفلسطينية» وبحسب المدعية العامة فإن «المالكي لم يرد بالإيجاب بشأن خطاب الانضمام (الذي تقدم به وزير العدل) وهو ما جعل المحكمة تغض الطرف عن الطلب وتعتبره مجرد مراسلات» !!!

بنبض القلب

الصحراء المغربية والدرس الاسكتلندي

د: أحمد الأشهب

لو كان لزعماء الانفصال ذرة من حياء لتوقفوا عن غيهم ولسارعوا إلى العودة إلى حضن الوطن، لقد شكل التصويت الداعي إلى بقاء اسكتلندا ضمن المملكة المتحدة درسا قاسيا لهؤلاء المغررين. فرغم الثراء الذي تزخر به أراضي اسكتلندا ورغم امتلاكها لكل مميزات الدولة المستقلة، فضل الاسكتلنديون وبنسبة تفوق 55% البقاء تحت مظلة ملكتهم، لعلمهم أن قوتهم في وحدتهم وأنهم مهما كانت قوتهم الاقتصادية فالبقاء ضمن دولة عظمى وفي إطار حكم ذاتي موسع هو الأضمن لاستمرار رفاهيتهم والحفاظ على آمنهم واستقرارهم... فهل يستوعب الدرس أولئك الذين يزايدون على وحدتنا الترابية ويخدمون أجندة العسكر في الجزائر!!!

ألم يحن الوقت بعد لتحكيم العقل والقلب والضمير لطي هذا الملف الذي طال أكثر من اللازم، أليس مشروع الحكم الذاتي الموسع الذي طرحه المغرب يعد حلا أمثل لممارسة مواطنينا الصحراويين كامل حريتهم في إدارة شؤونهم والتمتع بخيرات الوطن كله تحت راية واحدة ونظام أمني واحد... ألا يشكل الانفصال خطرا على الانفصاليين أنفسهم حين يرهنون مستقبل المنطقة للقوى المناوئة للمغرب التي لا يهمها في الأخير سوى مصلحة أوطانها، إضافة إلى تشتيت أواصر الأسر الصحراوية التي يعيش أعضاؤها وينتقلون بكل حرية على كامل التراب الوطني... لقد حان الوقت كي يعي هؤلاء الناس أن الخير كل الخير في وحدتنا وتماسكنا، وأن المغاربة شعب واحد من طنجة إلى الكويرة بمنطق التاريخ والجغرافيا والتحكيم الدولي.. فهل من مجيب؟؟!!..

تركيا تقرر رفع حظر الحجاب في المدارس

قال وزير التعليم التركي، «نابي أوجي»، في تصريح بالعاصمة، أنقرة، إن التعديل في اللوائح الناظمة للباس المدرسي، في مرحلة التعليم الأساسي، والمتعلق برفع حظر الحجاب، سيطبق اعتبارا من الصف الخامس، ليكون بذلك ارتداء الحجاب متاحا لطالبات المرحلة المتوسطة، وما بعدها.

وأضاف «أوجي»، أن التعديل جاء عقب مطالبات حثيثة من شريحة واسعة من الطالبات، وأولياء الأمور، لافتا أن رفع حظر الحجاب سيشمل المدارس المتوسطة، والثانوية فقط، دون المدارس الابتدائية، ودور الحضانة، مشيرا أن ارتداء الحجاب قبل هذا التعديل كان متاحا في إعداديات (مدارس متوسطة)، وثانويات الأئمة والخطباء.

وكان نائب رئيس الوزراء التركي، «بولند أرينج»، قد أعلن أمس، عقب جلسة لمجلس الوزراء، إجراء تعديل في لوائح اللباس المدرسي يشمل إيقاف العمل بالبند الذي ينص على ضرورة «كشف الرأس» في المدارس المتوسطة.

الدكتور لحسن الداودي : إلزامية إتقان الإنجليزية في التخصصات العلمية

جعلت الحكومة المغربية إتقان اللغة الإنجليزية في بعض التخصصات الجامعية أمراً إلزامياً لأساتذة التعليم العالي وللطلبة الباحثين، إبتداءً من يناير 2015، وفق ما أفاد به وزير التعليم العالي والبحث العلمي السيد لحسن الداودي.

وقال الدكتور الداودي إن «الأساتذة والطلبة المسجلين في التخصصات العلمية، ملزمون بإتقان اللغة الإنجليزية التي صارت لغة العلوم بامتياز»، مضيفاً: «تم توجيه مذكرة في هذا الإطار إلى الجامعات والأقسام المعنية بهذا القرار».

هذا القرار سيمكن الأساتذة من الإطلاع على الإصدارات والكتب العلمية مباشرة بالإنجليزية، بدلاً من انتظار الترجمة إلى الفرنسية التي قد تستغرق سنوات طويلة في بعض العلوم.

الحرف العربي عنوانا للاحتفال باليوم العالمي للغة العربية باليونسكو

سيكون المحور الرئيسي لليوم العالمي للغة العربية، الذي يحتفى به في 18 دجنبر لهذا العام هو الحرف العربي. هذا ما قررته الهيئة الاستشارية للخطة الدولية لتنمية الثقافة العربية التابعة لليونسكو، في اجتماعها الأخير في مقر المنظمة بباريس.

وأكد رئيس الهيئة الاستشارية للخطة الدولية لتنمية الثقافة العربية الدكتور زياد الدريس أن قرار الهيئة جاء بالتنسيق مع مركز الملك عبد الله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية الذي اقترح على الهيئة الدولية أن يكون الحرف العربي العنوان الرئيسي للاحتفاء باللغة العربية في يومها العالمي القادم 18 دجنبر 2014م، وذلك لما يمثله الحرف العربي من قيمة في الرمز للغة العربية المحتفى بها. وما يمثله كذلك من حضور لافت على مستوى الثقافات والحضارة البشرية بوصفه أحد الصور التي تجاوزت الرسم التواصلي إلى الأعمال الفنية والإبداعية.

وسيشارك في الندوات المخصصة لهذا الموضوع عدد من الخبراء اللغويين مع جمهرة الكتاب والباحثين والدبلوماسيين و الإعلاميين والعاملين في اليونسكو، كما سينظم معرض للخط العربي على هامش الاحتفالية يشارك فيه عدد من الخطاطين من مناطق جغرافية متنوعة.

بسبب منع الحجاب .. قطر تنسحب من ألعاب آسيا

قال مسؤول قطري إن المنتخب الوطني لكرة السلة للسيدات قرر رسميا الانسحاب من المسابقة في ألعاب آسيا المقامة في كوريا الجنوبية لرفض السلطات السماح للاعباته بارتداء الحجاب.

ورفض منتخب قطر لكرة السلة للسيدات خوض مباراته أمام منغوليا لهذا السبب وكان من المقرر أن يواجه نيبال في وقت لاحق في "انشيون".

وتنص إحدى لوائح الاتحاد الدولي لكرة السلة على أنه يحظر استخدام "غطاء للرأس أو كماليات للشعر أو مجوهرات" في الملعب.

ونظرا لعدم صدور أي إشارة على احتمال تخفيف هذه القواعد أمام نيبال قررت قطر عدم المشاركة فيما تبقى لها من مباريات في النسخة 17 من ألعاب آسيا التي انطلقت تحت شعار "التنوع في أبهى صوره".

قرب افتتاح القصر الرئاسي التركي الجديد

سيفتتح القصر الرئاسي التركي الجديد «أكسراي» أي : «القصر الأبيض» يوم 29 أكتوبر القادم، تزامنا مع عيد الجمهورية.

وقد تم بناء «مكتب بيضاوي» وسط القصر شبيه بالمكتب الموجود في البيت الأبيض الأمريكي، وأطلق عليه اسم «الغرفة الكاتمة» نظرا للتقنية التكنولوجية الحديثة المستعملة فيه، والذي لا يتوفر على مقبس كهربائي، كما يستحيل في مكتب «أردوغان» زرع أجهزة التنصت.

كما صُمم المبنى ضد عمليات التنصت، وتحتوي على غرف كاتمة معزولة بشكل خاص، اضافة إلى وجود مركز للأزمات تحت الأرض.

والمبنى بني على الطراز السلجوقي والعثماني والأوروبي، حيث استخدمت الاحجار الطبيعية في واجهته الخارجية

وتبلغ مساحة قصر «أكسراي» 300 ألف متر مربع، وهو ما يساوي حجم 50 ملعبا لكرة القدم.

للإشارة، فإن المبنى الجديد يعتبر أكثر الأبنية تحصيناً في تركيا، حيث أنشئ على أعلى مستوى من الحماية ضد الهجمات، بما فيها الهجمات الكميائية، وسيكون نظام الدخول والخروج منه وإليه عن طريق قراءة بصمة الإبهام وشبكية العين.

ويتكون الحرم الرئاسي من المبنى الإداري المكون من ثلاثة أقسام، ومبنى ذو طابقين، ومن المنتظر أن يستخدمه رئيس الجمهورية رجب طيب أردوغان ورئيس الوزراء داوود أوغلو مقرا لهما.

وتجدر الإشارة إلى أن المقر الجديد سيكون بديلا عن قصر «تشانكايا» الرئاسي، الذي اتخذه مؤسس الجمهورية «مصطفى كمال أتاتورك»، والرؤساء من بعده مقرا لهم.

بريطانيا : الإسلام أسهم في تراجع الإدمان

كشفت دراسة بريطانية حديثة، عن أن مراهقي بريطانيا أصبحوا اليوم أقل عرضة للتدخين والإدمان، كما أن نسبة حالات إجهاض الحمل بين الفتيات قلت بشكل كبير عما سبق.

وبحسب صحيفة «ديلي ميل» البريطانية، أرجعت الدراسة هذا الأمر إلى زيادة أعداد المسلمين في المملكة المتحدة، الذين لا يشربون الخمور ولا يمارسون الجنس ولا يدمنون المخدرات.

ونقلت الصحيفة عن ريتشارد دي فيسر، وهو متخصص في سلوك الشباب والصحة في جامعة ساسكس، قوله : «التنشئة الاجتماعية عليها عامل هام جدًا».

وأشارت إلى أن مكتب الإحصاء الوطني، قد أكد أن عدد الحوامل ممن هن دون سن الـ 18، في انخفاض مستمر، حيث انخفضت من 45 ألف عام 1986 إلى 30 ألف عام 2011، كما أن نسبة حالات الإجهاض قد انخفضت أيضا بشكل كبير.

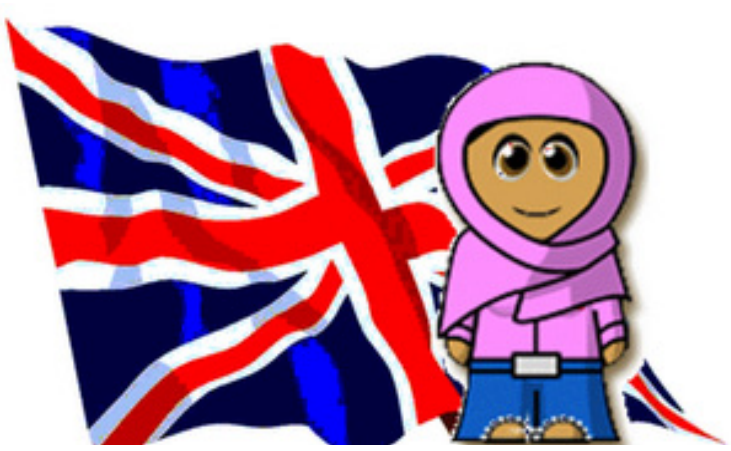

شـــؤون صغيـــرة

أ. د. حسن الأمراني

حديـــثـــان

يقول تعالى: ﴿وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم﴾. وفي حديث رسول الله ﷺ، عن اللذين مر بهما وهما يعذبان في القبر: «وما يعذبان في كبير، بل كبير». ومن هذا المعنى غرف الأدباء والشعراء، فقال شاعر معاصر:

شؤون صغيرة
تمر بها أنت دون التفات
تساوي لدي حياتي
جميع حياتي.

وكم نحن بحاجة إلى إعادة النظر في الأشياء والمواقف، بحيث نضعها موضعها الذي ينبغي أن توضع فيه، فلا نستصغر الكبير ولا نستعظم الحقير. وقد نغفل عن أشياء هي من صميم وجودنا ومن صلب حضارتنا، ثم لا نعود للالتفات إليها إلا إذا نبهنا إليها غيرنا. وليس معنى ذلك أننا لا نعرفها، بل نحن نعرفها ونحفظ نصوصها، وربما استشهدنا بها في بعض المواقف، ولكن لأننا لا نطبقها فكأننا صرنا غرباء عنها وصارت هي غريبة عنا.

إلى عهد قريب حملت إلينا الأنباء أنه في أستراليا ظهر إعلان عام في الساحات مكتوب عليه:

﴿لا تسرف في الماء ولو كنت على نهر جار﴾. التوقيع: محمد رسول الله.

أليس هذا بعض ما يمكن أن نفهمه من قول الله تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾. وآيات الله كثيرة، منها المسطور، ومنها المنظور. ومن المسطور كتاب الله تعالى وحديث رسول الله ﷺ. وكم في الحديث النبوي من آيات صار المسلمون يمرون بها وهم عنها غافلون. فها هي دولة غير مسلمة تسترشد بحديث لرسول الله ﷺ من أجل توعية مواطنيها بأهمية الاقتصاد في الماء والنهي عن الإسراف فيه. فهل وعينا نحن الدرس؟ أم أننا ـ كما قال الشاعر ـ :

كالعيس في البيداء يقتلها الظما
والماء فوق ظهورها محمول

كم من الأزمات تنفرج، وكم من المشاكل تُحلّ، وكم من المآسي ترفع، لو أنا وعينا حديث رسول الله ﷺ هذا وعملنا به؟ أليس قيل : إن الحرب القادمة هي حرب مياه لا حرب نفط؟ أوليس الماء سلاحا من الأسلحة التي تستعملها إسرائيل ضد الدول العربية المجاورة لها، فتجعلها تستخذي وتستجدي خانعة ذليلة؟ ولنبق في وطننا.. كم من المشاكل كانت ستحل لو وعى المواطن أهمية عدم الإسراف في الماء؟ كم كنا سنقتصد من الطاقات؟ وهل كان المواطن في البادية وما يسمى العالم القروي سيعاني ما يعاني لو التزمنا بروح الحديث النبوي؟ ولماذا يكون الماء عندنا أغلى من دول لا تملك موارد المياه؟ إن دول الخليج تقول: (لو كلفنا الماء ما يكلفنا النفط لكنا من الفائزين)، ذلك بأن تحلية مياه البحر تكلف أكثر مما يكلف استخراج النفط. ومع ذلك نجد زجاجة الماء المعدني عندنا تكلف ـ على الأقل ـ ضعف ما تكلفه في دول الخليج. هذا ونحن دولة غنية بالعيون والآبار، ولا نحتاج إلى تحلية مياه البحر.

التوجيهات الرسمية التي تدعو إلى الاقتصاد في الماء كثيرة، ومحمودة، ولكن علينا ـ بالإضافة إلى ذلك ـ أن نوقظ في نفوس الناس إحساسا آخر، وهو الشعور الديني، حتى يحس المواطن أنه عندما يقتصد في استعمال الماء يتقرب بذلك إلى الله تعالى. وأن ثواب الآخرة مرتبط بالفعل الإنساني الدنيوي، المقترن بخدمة الناس. فالمرء إذ يقتصد في الماء يكون قد ساعد أخاه المسلم في توفير قطرة ماء قد يتوقف عليه نظام حياته.

وفي ألمانيا وقع حدث مماثل، إذ ظهرت حافلات عليها لافتة تقول: (تبسمك في وجه أخيك صدقة: محمد رسول الله). هكذا..حافلات تطوف في الشوارع وهي تحمل هذا الحديث لمعالجة ظاهرة التجهم التي تسود المجتمع..التجهم الذي يدل على القطيعة، وعلى استغناء كل فرد بهمومه الخاصة، وكأنه يعيش بمفرده وإن كان يعيش مع الناس.. شعور يجسده قول شاعر يتحدث عن مدينة بلا قلب:

هذا الزحام...لا أحد.
وقديما قال دعبل الخزاعي:
إني لأفتح عيني حين أفتحها
على كثير ولكن لا أرى أحدا

حديث رسول الله ﷺ حديث ثمين عظيم، لو طبقناه لشاعت المحبة بين الناس، ولو شاعت المحبة لزالت البغضاء ومظاهرها المتعددة من مجتمعنا.. ولكن لأننا ولينا وتولينا، صار المرء إذا تبسم في وجه أخيه ينظر إليه بريبة، وربما سأله: (أتعرفني؟) مستنكرا. كما أنه إذا سلم على من لا يعرف، كما أمر رسول الله ﷺ، فكأنه جاء بشيء مستغرب.

التبسم في وجه أخيك دلالة اللين والرحمة، وما يشهده العالم الإسلامي من مظاهر الكراهية، المتمثلة في التصرفات النفسية والجسدية التي يبرأ منها الله ورسوله، هي نتيجة لغياب مظاهراللين والرحمة التي من أجلى صورها التبسم في وجه أخيك.

فهل ننتظر أن يعلمنا البعداء ديننا؟

مسجد باريس الكبير

إلى أن نلتقـــي

التضحية بين الحج والأضحية

من أطرف ما قرأت من طُرَف المغفَّلين أن أحد الأشخاص حينما أراد توديع أهله من أجل السفر لأداء فريضة الحج، بدأ أولاده يبكون قائلين له: ألَفْناك أن تكون في العيد معنا، فقال لهم: لا تحزنوا سأكون عندكم قبل العيد.

ولعل طرافة هذه القصة تبدو أولاً في السبب الذي دفع الراوي إلى روايتها، وهو غفلة هذا القاصد للحج عن أمور الدين وعدم إدراكه أنه شرائع وشعائر، وأن ذروة سنامه بعد يوم عرفة هو يوم النحر ذاته، كما تبدو من جهة أخرى في نوازع النفس الإنسانية التي تحجز الإنسان عن التضحية بالنفس والمال. ومن هنا بقدْر ما كانت شعيرة الأضحية رمزا للتضحية والفداء، كانت شعيرة الحج أسمى وأعلى في التضحية، لما فيه من التضحية الفعلية بالنفس والمال، وكذلك من التضحية بفرحة العيد مع الأهل والأولاد والأحباب، في سبيل ابتغاء مرضات الله سبحانه وتعالى والعودة من تلك البقاع بطهارة تامة كحال الولادة أول مرة.

إن هذا العيد يرمز إلى كل معاني التضحية، طاعةً لله وإخلاصا له، وهي طاعة يُذكَّر بها بصلاة العيد أولا، ثم بشعيرة الأضحية ثانيا، ثم بالتكبير المستمر طيلة الأيام الثلاثة ثالثا. وطاعةُ الله جديرة بأن يُضَحَّى من أجلها بكل شيء، وما نَحْر الأضحية إلا رمز بسيط من تضحيات أخرى أكبر وأثقل.

وإن العيد بقدر ما هو فرحة وحبور ولقاء بالأهل والأحباب والأصدقاء والخلان واجتماع بهم، هو تذكير باجتماع أو تجمع آخر، إنه تجمع الأمة، أمتنا الإسلامية التي اجتمع ممثلوها هناك في البيت الحرام وفي منىً وفي عرفات، تجمع الأمة التي انفرط عقدها بشكل كبير حتى غدا إعلامنا يتحدث عن أولى القبلتين وثالث الحرمين، كما يتحدث عن مناطق أخرى في جُزر "الواق واق"، ويتحدث عن المسجد الأقصى والقدس ومآسي إخواننا في فلسطين وإفريقيا وميانمار وغيرها من البلدان كما يتحدث عن السياحة في جزر "هواي"، أو عن مآسي الغربان في متجمدات سيبريا.. ولذلك فإن اجتماع الحجيج على رُبى عرفات ليذكرنا حقا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر"، فهم هناك كالجسد الواحد، كلهم متوجهون إلى الله ذكراً وتلبيةً وتكبيراً ودعاء. فلماذا لا يُذكرنا العيد - ونحن بين أحضان أهلينا وذوينا - بما يقاسيه إخوان لنا هنا أو هناك؟ ولماذا لا يكون من معاني التضحية التي يرمز إليها "عيدنا الكبير" معنى الأخوة في الدين التي هي الرابطة التي تجمع أهل القبلة حيثما كانوا ووُجدوا؟ وهي المظلة التي تربطنا ببني الإنسان حيثما كانوا ووُجدوا أيضا.

إن عيد الأضحى الذي نستظل بظلال بركته وفضله في هذه الأيام، يجعلنا نتذكر بأنه ختامُ عبادة، وتمامُ نعمة، ومدعاةُ شكرٍ وذكر، ومثارُ تفكُّر، وموطنُ عظة، فهو يأتي في ختام فريضة الحج الذي هو ركنٌ ركين من أركان الإسلام؛ والحج عرفة، ويوم عرفة هو اليوم الذي يغفر الله تعالى فيه للمقبلين عليه ما أسلفوا من معصية، وما فرّطوا في جنبِ الله، فلا يُرى الشيطانُ أخزَى ولا أذلّ منه يومئذ.

فنسأل الله تعالى أن يتقبل من حجّاج بيته حجّهم وسعيَهم، وأن يتقبل من المُضحِّين أضحياتهم، وأن يلهمنا إدراك أبعاد معاني التضحية في شعيرتي الحج والأضحية، وندرك دروسها العميقة في قِيَم الإيثار والتعاون والبذل والعطاء والأخوة.

د. عبد الرحيم الرحموني